الفنون

مجلة ادبية تصدر مرة في كل شهر

رئيس تحريرها — نسيب عريضه

مدير اعمالها — راغب متراج

قيمة الاشتراك = خمسة ريالات اميركية لسنة. وثلاثة ريالات عن نصف سنة . وريال ونصف عن ثلاثة أشهر . ونصف ريال عن شهر واحد . والدفع سلفاً .

AL-FUNOON

55 BROADWAY

NEW YORK

الجزء الثامن   كانون الثاني سنة ١٩١٧   السنة الثانية

كيف استقبلت الفنون

(٥)

— آراء الصحف —

وقالت جريدة «القلم الحديدي» الصادرة في سان باولو — البرازيل

«الفنون — هي مجلة حسناء لطيفة المباحث تصدر في نيويورك يكتب فيها نخبة من الشبان الادباء ذهبوا في مذهبهم الشعري والكتابي كل مذهب فنتمنى لهذه المجلة الغربية انتشاراً واقبالاً تستحقه»

*****

وقالت جريدة «المستقبل» الصادرة في باريز —

اتانا الجزء الاخير من مجلة «الفنون» النيويوركية (عدد ت ١) فرأيناه مكرساً «لذكر النكبة في سوريا — تذكيراً للمهاجرين الآمنين، باخوانهم البائسين المنسحقين، وحداداً على الساقطين في معترك الويل» المظلومين

ولدى تصفحه وجدناه حافلاً بالمقالات الوطنية المهيجة ومزيناً بالصور اليدوية المؤثرة، نخص بالذكر منها صورة «وجه امي، وجه امتي» المنزلة من عالم الوحي على المصور السوري المتفنن جبران خليل جبران. وسنعود الى الكلام في هذا الموضوع .

*****

ونشرت جريدة السهام البرازيلية هذه المقالة للكاتب الاديب يوسف فريحه

البضاعة الادبية كغيرها مثل سائر البضائع التجارية المعروضة للبيع ونقد الثمن والناس ما برحوا ولم يزالوا منذ اقدم ازمنة التاريخ المنصرم الى الساعة الحاضرة ينقادون وراء القوة الجاذبة المؤثرة على الاخلاق والعقول انقياد السهولة والامتثال من ماديات وادبيات وسائر انواع المعيشة وضروريات الحياة وكل شيء له تعلق وارتباط بنظامات الاجتماع وقوانين العمران

يفتح تاجر محلاً جديداً ويكردس به من البضائع الجيدة جبالاً وتلالا فيتهافت الشارون تهافت الجياع على قصاع الطعام لمشترى هذه البضائع والاتجار بها فينتقدون صاحبها بكل طيبة خاطر جيد الثمن الذي تستحقه وينصرف هؤلاء ضاربين في كل اقطاب الارض مبشرين ناشرين اسم صاحب المحل معلنين ومؤثرين على غيرهم من العموم والافراد للتسابق والاقبال على مشترى هذه البضائع الجديدة والتمتع بلذة الارباح التي يحصل عليها الشاري ويجتنيها من ورائها .

ولعمري ان ما يطلق على البضائع التجارية من اقمشة وخلافه يصح اطلاقه بكل سهولة على البضائع الادبية من مثل مجلات وجرائد وكتب ومؤلفات راقية وغيرها . فكما يحق للشاري الاعلان عن جودة بضائع محل تاجر وحث الناس للاقبال على مشتراها واجتناء لذة ارباحها يحق كذلك لكل اديب او قارئ يطلع على مجلة او جريدة راقية ان يعلن عنها لغيره من الناس مشجعاً اياهم على الاشتراك والاقبال على مطالعتها والتمتع بلذة فوائدها العديدة .

ولهذا السبب اريد ان اكون في اول طليعة المعلنين والمبشرين عن اجود

بضاعة ادبية وارقى مجلة عربية في المهجر اسمها « الفنون » وان ادعو العموم للاقبال عَلَى الاشتراك بها واجتناء ثمارها اللذيذة واني ارى من الغضاضة لا بل من الحيف والغبن ان ينظر اديب نظرة واحدة الى مجلة راقية ساحرة كمجلة الفنون ولا يخط قلمه كلمة ضرورية واجبة مبيناً بها ما لهذه المجلة العظيمة من الشهرة والاهمية بين ناطقي اللغة العربية فكمشتغل ببضاعة الادب يجوز لي شرعاً بان اعلن للملأ عن بضاعة ادبية جديدة جيدة واحث الغير عَلَى الاشتراك بها وان لم افعل ذلك فاني دون شك مرتكب جريمة ضد الاداب ·

سوف تقول ايها القارىء عني انه يحب المغالاة جداً ويريد التحبب والتقرب الى صاحب الفنون من وراء كل هذا المديح والاطراء · كلا والف كلا · فاني اقسم لك بشرفي انني لا اعرف صاحب الفنون معرفة شخصية بل اعرفه معرفة خيالية في مجلته كما تعرفه انت تماماً لكني رغم عدم معرفتي اياه شخصياً لا يمنعني مانع بان ألمس روحه لمس اليد كل ساعة بها افتح مجلته التي تتمثل بها روحه ظاهرة في كل سطر من سطورها وارواح اولئك الكتاب العظام كجبران والريحاني ونعيمه و كاتسفليس والشعراء كأيليا ومشرق وايوب والحاج و كل كاتب وشاعر يخط كلمة في هذه المجلة

لست بحاجة لتدوين آرائي و كلمتي الخصوصية فقط بهذه المجلة كما قلت لك قصد اكتساب الشهرة لدى صاحب الفنون كلا فاني اعتقد ان التغاضي والتقاعس عن قول هذه الكلمة الواجبة جريمة بنظري لا تغتفر واثم كبير ارتكبه امام الجمهور الذي يقبل عَلَى مشترى بضاعة الادب الجيدة وان لا ادله عَلَى هذا التاجر واصناف بضائعه · ومما يدفعني بقوة لكتابة هذه الاسطر هو مما سمعته من افواه بعض المشتركين بهذه المجلة من المديح والاعجاب بكتاباتها الراقية واسلوبها البديع المطرب

اقول الحق اني شاهدت بام عيني مشتركاً بهذه المجلة في هذه المدينة يقلبها بين يديه طوراً الى اليمين وتارة الى الشمال قائلاً والله يكفي القارىء او المشترك ان يلمس هذه المجلة لمسة واحدة في يده حتى يشعر بقوة جذابة تدفعه للاشتراك بها · كان يقول هذا الكلام قبل ان يفتح المجلة ويقلب صفحاتها وينظر الى رسومها وبدائع فنونها · فقلت له ويحك يا صاح اراك قد شبعت من قشورها فكيف بك لو تذق لبابها ؟

ففتح المشترك المجلة ودخل الى حديقة ناضرة مغروسة بالاشجار والازهار فشرع ينتقل كالطير مغرداً ناقداً من كل شجرة ثمرة ومن كل غصن زهرة·

* * * * *

وقالت جريدة السهام الغراء —

وردنا العدد الخامس من مجلة الفنون الزاهرة وهو يبكي لما تضمنه من المقالات المؤثرة المسكوبة بقلم جبران خليل جبران والريحاني ومخايل نعيمه ونعمه الحاج ورشيد ايوب وايليا ابوماضي ونسيب عريضه وغيرهم من اكابر كتاب نيويورك عن حالة سوريا الجائعة

* * * * *

— آرآء القرآء —

*****

طالما تشوقت الى ان ارى الصحافة العربية في المهجر تنهج الصراط الحق في خدمة المبادىء الشريفة التي وضعت الصحافة لاجلها في كل شعب وقطر، وطالما رأيت ضلال صحافيينا عن ذلك الواجب الاسمى وتعلقهم بكتابة ما هو ءن مقامهم احط وادنى، وطالما املت ان يعود الصواب الى ألبابهم وان توجد لهم الخبرة من كتابات الاجانب خير أثر تتبعه افكارهم، ولكن، يا للاسف، قد ضاع مني الامل، فارخيت لليأس العنان، ورغبت — وفي النفس حسرة — عن قراءة كتابنا العصريين الى قراءة الصحافيين الاجنبيين وحرمت نفسي امرأ كنتُ عليه مطبوعاً الى ان وقفت من عهد حديث عَلَى مجلتكم «الفنون» وفيها من كل فن حديث يلذ به الطالبون، فألفيت فيها شعاع أمل لنيل ذاك الموءمل، فرحبت بها وقلت — اهلاً بخير وافد الى أشد زاهد ·

ولولا ان يُحمل كلامي في مجلتكم محمل الاطراء لما اقتصرت عَلَى ما قلت ولما اوجزت المقال بمثل هذا المثال ·

لا يعدم الفضل من ذوي الفضل نصيراً، ولا الادب من اهل الادب مجيراً، فاثبتوا في جهادكم عَلَى ما بدأتم، فلا بدَّ ان يسمع لصوت الفنون صدى يرن في وادي العلم والهدى · واني لارى يوم الدين لعالم الصحافة اقرب في قومنا مما يظن ذوو الحصافة · ولا بدَّ اذ ذاك ان تُفصل الخرافة

عن الجدا وان يقر بفضل «الفنون» من اهتدى

شلطن — كنا كتكت ·   متري حداد

لا أحد يعرف الفنون الا ويجلها ويعتبرها ارقى المجلات العربية في العالم الجديد ·

سان باولو — برازيل   ابرهيم سمعان

تصفحنا الفنون فوجدناها نادرة المثال بمواضيعها السامية ومقالاتها الراقية الادبية · ولا غروَ اذا قلنا ان الفنون هي المجلة الوحيدة المستحسنة في المهجر

سانت جوزف — مزوري   الجمعية الخيرية السورية

استقبلت «الفنون» الجميلة بسرور · ووجدت انها الفريدة في عصرها بل هي ارقى مجلة عربية في ديار المهجر · ولا ابالغ اذا قلت وفي القطرين السوري والمصري ·

ورت — اوكلاهوما   نقولا الطيار

طالعت الفنون بكل تدقيق رغبة التحقيق في كفاءتها او نقصها · واري من الاجحاف بالحق ان اكتم عنكم ما تجلى لي من محاسنها وجودة وضعها وما توسمته في خلال مقالاتها من مقدرة كتابها وادبهم ·

شلطن — كنا كتكت   جورج حداد

رغب شقيقي الاعز ان يبرهن لي عن حبه وغيرته الاخوية فقدم لي هدية نفيسة في عيد الميلاد · ولم يختر ما يفتخر به قسم كبير من الناس من اشياء تستعمل لتزيين الجسد والبيوت بل اختار ما يفوق ذلك قيمةً واعتباراً —

اختار سبيكة موضوعة من درر الادباء لتكون حلية ثابتة للروح . الا وهي مجلة الفنون — تلك الروضة اليانعة ومنها يجتنى شهد العلم والادب . فشكراً لاخي عَلَى هديته . وشكراً للادباء عَلَى اتعابهم .

دترويت — مشيغن — سليمان رحال

قيدوا اسمي بين اسماء المشتركين في الفنون الوضاءة ، عروس الاداب ، وقبلة آمال الشبيبة الحديثة ، وسميرة الارواح ورسول القلوب . الان والى كل اوان ما زلت حياً أرزق في عالم الوجود .

وست نيوسن — بنسلفانيا — يوسف عبود نادر

وجدتها المجلة الوحيدة التي يليق بكل اديب واديبة مطالعتها

غرينزبرغ — بنسلفانيا — جميل يوسف ترك

اقدم لكم بدل الاشتراك الذي هو زهيد بالنسبة الى ما يحويه كل جزء من هذه المجلة الراقية .

منزانيليو — كوبا — انطون عبدالله حجاج

كنت في عداد الذين ينظرون اليها بلا اكتراث ظناً مني انها كباقي مجلاتنا العربية ... ولكني لم اكد اتصفح عددها الاول من السنة الثانية وقد أجبرت عَلَى مطالعته بالحاح بعض اصدقائي في الداخلية — حتى تغير ظني بها اذ رأيت بين طياتها روحاً جديدة .

كالي — كولومبيا — الفونس فاخوري

لديَّ كل اعداد « الفنون » التي إقدس اسمها . وهي عندي اجمل كلمة تلفظها الشفاه . هي اسطع نجم بزغ في سماء ادابنا العصرية فعمَّ شعاعه قلوب عشاق العلم والادب . وفي مذهبي ان من لا يعضد الفنون بكل قواه فقد اخطأ الى أقدس شيء .

كليفلند — اوهايو — بطرس ضاهر بولس

وجدت في « الفنون » ما لذَّ وطاب من المقالات الادبية والنوادر الظريفة والحكم . فجدير بكل عربي ان يطفح قلبه سروراً لوجود رهط من ابناء امته قد كرَّسوا حياتهم لخدمة الادب والفنون وتنوير الاذهان

سينفويغو — كوبا — يوسف ابرهيم نجار

شرف محلنا صديقنا ... ومعه العدد الثاني من مجلة الفنون فقدمه الينا هدية فقرأناه وعشقنا تلك المعاني البديعة التي تضمنها . ورأينا بعين الحقيقة ان الفنون اجمل مجلة اطلعنا عليها في اللغة العربية . فهمنا بها واشتقنا الى مطالعة بقية اعدادها ولم نجد لنا صبراً عليها . فلذلك نكتب اليكم هذه الاسطر راجين ان تعدونا من المشتركين .

كنتون — اوهايو — عبدو اخوان

سرني ما تضمنته مجلتكم من الفوائد الجمة والدرر البليغة التي يفتقر اليها كل سوري في المهجر .

فيلادلفيا — الخوري حنا حكيم

وجدت الفنون طافحة بالمقالات الاجتماعية والتاريخية والمواضيع

الفلسفية وقد رقصت لها قلوب الاصدقآء هنا شوقاً واعجاباً . وحقاً انها « فنون » جميلة يطابق اسمها رسمها .

القاهرة — مراد ظاهر

التصويت الشهري في المباراة الادبية .

حازت الاكثرية في عدد تشرين الثاني مقالة « السم في الدسم » لجبران خليل جبران . وتلتها مقالة « فلسفة الكائنات » لحنا خباز .

ادارة الفنون بحاجة الى الاعداد ١ و٢ و٣ و٤ و٧ من السنة الحالية فمن كان بغنى عنها فليتكرم بارسالها والادارة تدفع له الثمن نقداً او مقايضة

المباراة الادبية
وجوائز الفنون

ابتدأت المباراة الادبية عَلَى صفحات الفنون بعدد ايلول الماضي وستنتهي بعدد آب سنة ١٩١٧ ، فينال جوائزها ثلاثة من الادبآء

الجائزة الاولى — مائة ريال — لصاحب المقالة الاولى في الفوز

الجائزة الثانية — ٥٠ ريالاً — لصاحب المقالة الثانية في الفوز

الجائزة الثالثة — ٢٥ ريالاً — لصاحب القصيدة الفائزة

(الحكم بالجوائز) حين يصل عدد الفنون الى المشتركين يستطيع كل منهم بعد قراءته ان ينتخب منه المقالة التي تعجبه والقصيدة التي تنال استحسانه فيصوّت لها ويرسل حكمه الى ادارة المجلة كل شهر بشرط ان يكون دافعاً بدل الاشتراك سواء كان شهرياً او سنوياً فلما تنتهي الاصوات الى الادارة تعلن اسم الفائز بموجبها في العدد الذي يلي التالي . ومتى انتهت السنة تعيد الفنون نشر اسماء الفائزين في التصويت الشهري ويصير انتخاب ثلاثة منهم لتدفع اليهم الجوائز .

(شروط المباراة) لكي يصح الحكم بالجائزة لاية مقالة او قصيدة يجب ان تكون مبتكرة غير منقولة عن لغة اجنبية او منشورة سابقاً ، وان تصل الى الادارة تباعاً بأسرع ما يمكن وميعاد آخر ما يقبل منها ١ تموز سنة ١٩١٧ . وللادارة الحق ان ترفض نشر ما لا تراه صالحاً للنشر .

لا تنسَ ان تعطي صوتك كل شهر لمن تستحسن كتاباته



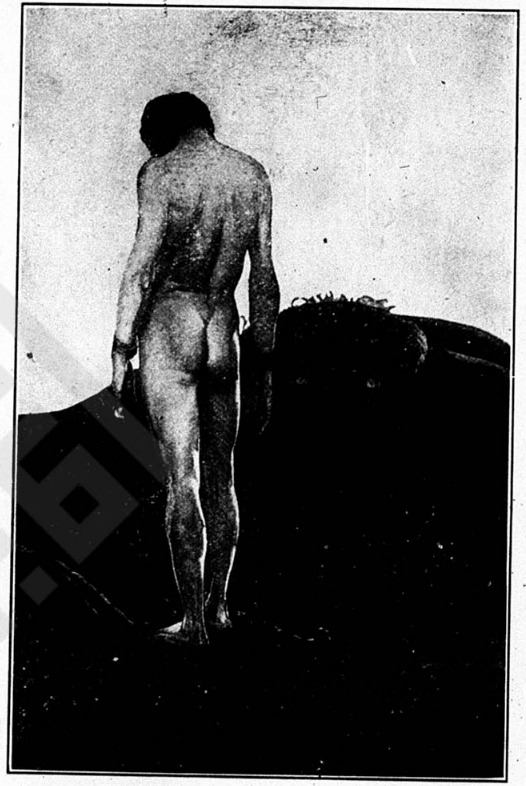
الفنون

معرض فنون وأَدب

تنشر المنتخب من أَدب الافرنج

والعرب

محتويات الجزء



شعور الانسان بالحرية

للمصور شنايدر

الفلكي

لجبران خليل جبران

في ظلال الهيكل رأيت وصديقاً لي شيخاً اعمى جالساً وحده · فقال لي الصديق — « انظر · هوذا احكم رجل في بلادنا »

فغادرت صديقي اذ ذاك ودنوت من الاعمى والقيت عليه السلام · ثم جاذبته اطراف الحديث ·

وبعد هنيهة قلت له — « عفواً عن سوءالي — منذ كم وانت اعمى ؟ »

فاجابني — « منذ ولادتي »

فقلت — « وأي مذهب من مذاهب الحكمة تتبع ؟ »

فقال — « انا فلكي »

ثم وضع يده فوق صدره وزاد قائلاً — « انا ارقب هذه الشموس والاقمار والكواكب أجمع »

حديث

﴿ للكاتب الرومي الشهير ايفان تورغنيف ﴾

* * *

قمم جبال الالب ... سلسلة طويلة من الاحادير الوعرة ... قطب الجبال ومنتصفها ...

فوق الجبال سماء بكماء لونها اصفر برّاق مائل الى الخضرة . وهنالك زمهرير عنيف شديد . وثلج صلب براق . وقد انحسر عن بعض الاماكن فبانت تحته اطراف صخور عابسة مجلدة .

جبّاران هائلان متناهيان في العظمة تساميا في جانبي الافق . هما الجبلان يونكفرو و فينسترا أرهورن .

وقال يونكفراو لجاره —

« ألديك من شيء جديد — ان بصرك يرمي ابعد من بصري . فخبرني عما يجري هنالك في الاسفل . »

فمرّت الوف من السنين — دقيقة واحدة — وأرعد فينسترا أرهورن مجيباً —

« تمهل قليلاً ، فالارض مغطاة بغيوم تكاثفت . »

فمرّت ايضاً الوف من السنين — دقيقة واحدة — فاعاد يونكفراو

سوءاله —

« والان ، ماذا ترى ؟ »

« ارى كل شيء باقياً هنالك عَلَى ما كان عليه . بقع شتى ، واشيآء حقيرة . مياه زرقآء ، وغابات سوداء ، وركام حجارة كئيبة غبراء . وحول هذه الاشياء تتحرّك تلك الحشرات التي تمشي عَلَى رجلين كما عهدتها . وهي حتى الان لم تستطع ان تدنس صخوري او صخورك بارجلها . »

« ألعلك تعني هوءلاء — الناس — ؟ »

— نعم ، الناس .

فانصرمت الوف من السنين — دقيقة واحدة — فاعاد يونكفراو الكرة سائلاً جاره —

— « وماذا ترى الان ؟ »

— « كأني بتلك الحشرات قد قلت ، وبالاشيآء قد انجلت ووضحت . وارى فسحة المياه قد صغرت ، والاحراج قد ندرت »

ثم مرّت تترى الوف من السنين — دقيقة واحدة — فقال يونكفراو

— « وماذا تشاهد الان ؟ »

فاجاب فينسترا أرهورن —

— « أرى ان ما يحيط بنا عَلَى القرب قد اصبح نظيفاً ناصعاً . ولكن هنالك — في الوديان القاصية لا تزال بقع سوداء تتحرّك فيها اشياء . »

فسأله يونكفراو بعد مرور بضعة الاف سنة — دقيقة واحدة —

— « والان ؟ »

— « الان كل شيء عَلَى ما يرام · ارى الانحاء كلها نقية · كيفما حولت نظري اشاهد بياضاً ناصعاً · ارى ثلجنا وجليدنا سائدين عَلَى السواء في كل مكان · قد سكن كل شيء ، واصبح ما حولنا جميلاً هادئاً · »

فقال يونكفراو —

— ما أحسن هذا ! ولكن لقد اطلنا الحديث ايها الشيخ · وحان ان ننام »

— « فلننم — »

ونام الجبلان العظيمان · ونامت السماء المخضرة اللامعة تعلو الارض الصامتة الى الابد ·



آية الاجيال

***

يا للمذلة كيف عاشوا !   يا للفضيحة كيف ماتوا !
يا للجبانة ! لا فتىً   شهرَ الحسام ولا فتاةُ
يتقلبون عَلَى الطوى   ولهم اراضٍ مخصباتُ
فكأنهم لم يشعروا   بالجوع من دمهم يقاتُ
وكأنهم لم يُظلَموا   او لم يعث بهم البغاةُ
وكأنهم لم ينظروا   وديارهم متهدماتُ
وكأنَّ لا جثث لهم   فوق الحضيض مجندلاتُ
وجسومهم فوق المشا   نقِ في الهوا متدلياتُ
وقفوا بها متفرجيـ   نَ لهم عيون شاخصاتُ
لا صدر يخفق للوثو   بِ ، ولا يد فيها حياةُ
شعب وليس به دمٌ   جبلٌ وليس له ثباتُ
جيش يُعدّ بالالو   فِ وتستبد به المئاتُ
قتل الجناة نفوسهم   لله ما قتلَ الجناةُ !
ان الشعوبَ نفوسها   فاذا ذهبت بها رفات

ما الموت اطباق الجفو   نِ وانما الذل المماتُ

. . . .

من يوم ذلوا للغريـ   بِ والافتخار لهم صفاتُ
يتغزلون بذلك « المـ   جد القديم » وهم حفاةُ
نحن الكرام ذوو الندى   نحن القساورة الكماةُ
نسلُ السلاطين الألى   لهم العصور الزاهراتُ
وقف السخاء ببابنا   مستجدياً والمكرماتُ
لم نحتمل ذلاً ، بلى   ذلت لشوكتنا العتاةُ
يتشدقون ، ولا مرا   ءَ فهم لانفسهم قضاةُ
ابناؤهم كالمجرميـ   نَ مُذبحون وهم براةُ
وبناتهم اعراضهنَّ   علَى الطريقِ مهتكاتُ
ونساؤهم وصغارهم   وشيوخهم مرضى عراةُ
ويفاخرون بعزهم ! !   وبعز من ولوا وفاتوا ! !
يا رب ، عفوك ، واتئد   كثرت علينا المعجزاتُ
يا رب ، بابل قد مضت   فلمَ التبلبل والشتاتُ ؟
أترى سوانا صالحيـ   نَ ، ونحن اشرار خطاةُ ؟
لا لا . فانك عادل   فلنقضِ وليحيَ المداةُ !
من لا لهُ خذ ما لهُ .   ولمن له تُعطى الهباتُ
اليسرُ يجتلبُ الغنى   والضائقاتِ الضائقاتُ

ذا عالم للبطش ، ما   للعدل فيه مرتباتُ
أنى تكلمت المدا   فعُ فالشرائع صامتاتُ
خلق الردى للضعف لا   تجدي الضعيف تضرعاتُ
والعيش للابطال تق   حمه النفوس الباسلاتُ
ذي آيةُ الاجيالِ خط   تها الدماء السائلاتُ
من ليس يحميه الحسا   مُ فليس تحميه الصلاةُ

الاكوادور   « امين مشرق »



القضاء المثلث

للكاتب الاميركي ناثانيل هاوثورن

— معربة بتلخيص —

* * *

كان رالف كرانفيلد فتى من نيوانكلند كثير التبرم ، يعتقد بالخرافات ، وله ميل الى الباطنية . وكان قد رأى في صغره حلماً غريباً فخاله نبوءة موشكة ان تتم . فاصبح هذا الحلم مدار حياته كلها . ومفاده انه سمع هاتفاً يوضح له في الحلم ان حظه في الدنيا مثلث ، وان ثلاث حوادث خطيرة ستكلل حياته بالنجاح والمجد وهي —

اولاً — سيرى كلمة « أحفر » منقوشة باللغة اللاتينية عَلَى قطعة خشب ، فاذا حفر تحتها في الارض يجد كنزاً .

ثانياً — سيجيء اليه ذات يوم شيوخ ثلاثة فيقلدونه زمام السلطة عَلَى البشر . فيؤدي ذلك الى نتائج حميدة .

ثالثاً — سيصادف في حياته ذات خدر من الغواني الحسان — غادة عيّنها القضاء لتشاركه افراح حياته . وعلامتها حلية تشبه القلب يزدان بها صدرها ، فيعرفها الشاب من هذه الشارة ويتأكد له انها الامرأة الوحيدة التي خلقت لاجله . ومتى شاهدها يقول لها — « اني آتٍ اليك بقلب مثقل فهل تسمحين لي ان اخفف اثقاله لديك ? » فاذا كانت هي هي الغادة المقصودة تضع يدها عَلَى حليتها وتجيبه بقولها — « ان هذه الحلية التي لبستها زمناً طويلاً توءكد لك ارتياحي الى ما تشآء . »

أجل ، ان هذه الوساوس لمن الغرابة بمكان ، ولكنها بالرغم من ذلك أثرت في عقل الشاب كرانفيلد تأثيراً شديداً أفضى به اخيراً الى انه غادر وطنه ومضى يجوب الامصار القاصية ناشداً حظه المثلث .

طوَّف في الافاق سنين عديدة ضارباً في عرض الارض وطولها ، متنقلاً من قطر الى قطر ، فبين تعهده في بلاد الهند اذا به يقصد الاصقاع الجليدية ساعياً في اثر امنيته الذهبية . ولكنه لم يظفر في تطوافه بسوى الفاقة والضجر والوحدة والتعب .

واخيراً رضي من الغنيمة بالاياب ، فعاد الى قريته في نيوانكلند وراح يوءم كوخ والدته العجوز التي كانت لعودته بالانتظار . فشاهد في الطريق الموءدية الى الكوخ كلمة « احفر » منقوشة عَلَى شجرة هنالك نقشاً قد خفيت معالمه . فتذكر انه نقش هذه الكلمة بيده في صباه حين كان يهذ بحلمه الغريب . فابتسم لتذكاراته ابتسامة اشفاق وسار مفكراً حتى وصل المنزل فاستقبلته امه فرحة أي استقبال .

وانتشر خبر رجوع رالف في القرية كلها . واصبح الناس يتحدثون بأمره ويكبرون قدره ويعجبون بما اكتسبه من المعارف الواسعة في سياحاته . فجاءه في اليوم التالي شيوخ القرية الثلاثة يعرضون عليه ان يكون موءدباً

لتلاميذ القرية ٠

فاستولت عَلَى قلب رالف دهشة غريبة ٠ وتبين له ان القسم الثاني من حلمه قد تمَّ ، كما تمَّ الاول حين شاهد كلمة « احفر » عَلَى الشجرة ٠ كيف لا وقد كشفت له تلك الكلمة التي حفرها بيده في صغره مدفوعاً بوساوسه سراً لم يكن يدركه فيما مضى ٠ كشفت له ان عليه واجباً اهمله — هو: ان يحفر اراضي أمه ويستغلها فيحظى حينذاك بالكنز الذي وُعد به ، ويجده في خيرات الارض وخصبها ٠ وادرك مما عرضه عليه شيوخ القرية ان السلطة التي كان يتوقعها ليست سوى تعليم اولاد القرية وتأديبهم ٠ وهي وظيفة تخوله السلطة عَلَى الناشئة الجديدة وتكييف عقولها بالتهذيب لتعود بخير غزير عَلَى الانسانية ٠

لم يبقَ من الحلم غير مفسر الا قسمه الثالث

فخرج رالف في اليوم التالي يهيم في الحقل عَلَى وجهه مفكراً في ما آل اليه حظه ٠ فصادف في طريقه رفيقة صباه الفتاة المدعوة فايث ايكرتون تتقدم نحوه بيدين مبسوطتين ترحب بعودته الى الاوطان

فلما رآها وتمعن في وجهها الجميل الطاهر علم للحال انه يحبها ، وانه ما برح يهواها منذ الصغر ٠ واستلفتت نظره حلية غريبة الشكل عَلَى صدرها — هي رأس نبلة هندية تشبه القلب وكان قد اهداها اياها في القدم ٠ فعلم ان حلمه اجمع قد تمَّ ٠ فقالَ لها مرتعشاً

— لقد اتيتك بقلب مثقل بالاوصاب ٠ فهل تأذنين لي ان اريحه من

اثقاله عندك ؟

فلمست الفتاة جانب الحلية وقالت

— ان هذا الاثر الذي حملته تذكاراً لك كل زُمن غيابك يوء كد لك يا رالف اجابة طلبك ٠

. . . .

سعيد من يستفيد من هذه الحكاية ان يفسر احلام شبابه ومسائل حياته ورغائبها عند باب بيته ، وان كان قد جاب عرض الدنيا وطولها مفتشاً عن ذلك في كل صقعٍ وناد ٠



الانسان

لشبلي شميل

* * *

ذلك الكائن العجيب ملتقى النقيضين ، ومجتمع الضدين · أضعف من النبات والحيوان في بنيانه ، واقوى الكائنات بمستنبطات جنانه ، عاقل جاهل ، يرتفع بافكاره تارةً الى السهى حتى يقال « ان هذا الاملك كريم » · حيوان الى اقصى درجات الحيوانية وما هو بحيوان ، اله الى حد المعجزات وما هو من سكان الجنان — ذلك هو الانسان ·

وقف عَلَى البسيطة عارياً ، جائعاً ، خائفاً كأن اصله ليس من هذا المكان · وذهل انه هو الانسان « المطرود من الجنان » · البرد يوءذيه ، والحر يعييه ، والجوع يضنيه · فسكن المغائر وخصف اوراق الشجر عليه ورعى النبات كالسائمة واكل اشلاء الحيوان كالكواسر ·

نظر الى الحيوان فراعه ما رآه فيه من القوة واكتمال العدة فارتعدت فرائصه خوفاً منه وليس له براثن تقيه او مخالب تحميه فعمد الى كهوف الارض يختبىء فيها عنه ، وتسلق الاشجار العالية هرباً منه

عمد الى الحجارة يحكها حكاً ليضع منها سلاحاً يذود به عن نفسه ويسطو به عَلَى سواه · فاخترع السلاح واهتدى الى الصيد · وتطاير الشرار من احتكاك

الحجار ، فاكتشف النار ، واهتدى الى اكل طعامه مشوياً بعد ان كان يأكله نيأً · وكان ذلك اول « اختراع » واول « اكتشاف »

نقَّب في الارض فاهتدى الى المعادن ورآها تلين في النار فاصطنع منها العدد وتفنن واتقن وشعر بنفسه انه نال بها قوة ذللت له الطبيعة فبنى البيوت واصطنع الكساء من الياف النبات وشق الارض وزرع وحصد واستثمر النبات وذلل الحيوان · وكاد يتذكر « انه المطرود من الجنان »

رأى الارض واسعة ومطامعه شاسعة فامتطى الحيوان جواداً يقطع به مفاوز الغبراء وبنى المركبات لنقل الاثقال واستطلاع مناجع الكلاء

ضاقت به الارض عَلَى سعتها واعترضته البحـار فبنى المراكب واخذ يجذف في عرض المآء ثم اصطنع الشراع واستقبل به مهاب الهواء ، وهكذا اصبح سيد البر وسلطان البحر ·

رأى التعاون ادعى الى القوة فانتظم جماعات وبنى المدائن واختط الممالك وشاد الحصون المنيعة والقصور الرفيعة وغرس الحدائق تجري من تحتها الانهار كأنه اراد ان يعيد بها « الفردوس الضائع » وتأنق في المأكل والملبس والاثاث واغرب في الكماليات بعد الحاجيات حتى تخطاها الى الزخارف ·

نظر في العلوم فحفظ المعلوم وطلب المجهول فانكشفت له اسرار الطبيعة فاستخرج من كنوزها وأسر قواها فاستسرى البخار واستنطق البرق فاستعاض عن الشراع ببواخر تمخر في عرض البحار ، وعن الجياد بقواطر تسابق الرياح

وتقرب الشاسع من الاقطار ·

طمح ببصره الى العلياء. فاخذ يحدق في القبة الزرقاء وقد كان ظنها «جلداً» مصفحاً وكواكبها انوار سكان السماء · فما لبث ان اخترقها بذكائه فعرف حقيقتها ووقف عَلَى تركيبها وقاس ما بينها من الابعاد كأنها منه «عَلَى قاب قوسين او ادنى»

رأى الطبيعة قد دانت له قريبها وبعيدها، عاليها وسافلها، ظاهرها وباطنها، جمادها ونباتها وحيوانها، فعتا وتكبر، وطغى وتجبر، وشق عليه ان ليس امامه جبار «يهدد كل جبار عنيد» ليقول له «فها انا ذاك جبار عنيد» حتى شاد من الاوهام حقائق وقام يناصب آلهته العدوان، كأنه تذكر انه «طريدها في سالف الازمان»

رأى كل ذلك فرآه حقيراً في عينيه ذليلاً لديه «اي مكان يرتقي اي عظيم يتقي» فلم يجد اصعب عَلَى نفسه منه هو نفسه · فسعى ليقهر بعضه بعضاً ويسود بعضه عَلَى بعض، انسان عَلَى انسان، وقبيلة عَلَى قبيلة، وامة عَلَى امة، وفرد عَلَى امة · فسن الشرائع ووضع القوانين توافق اميال القوي وتهضم حقوق الضعيف، فظلم وهو ينادي بالعدل، وتجبر وهو يعلم الناس التواضع، وعتا وهو يوصيهم بالحلم ·

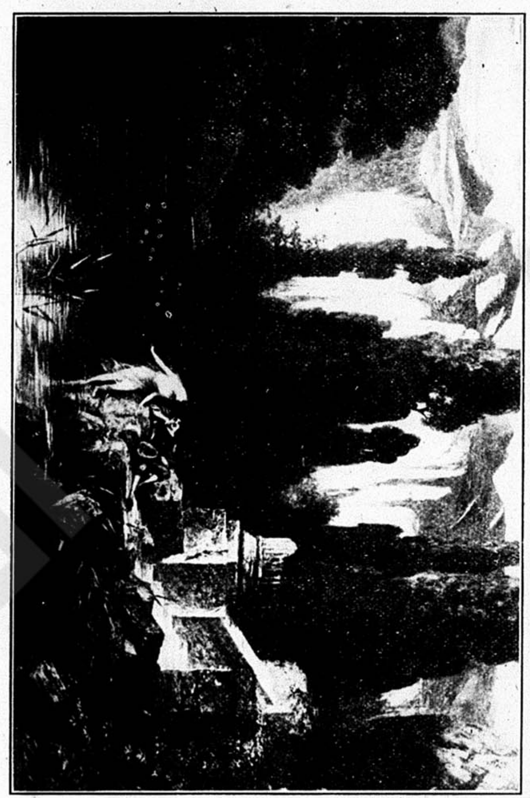
شرائع اصلها «العادات» وقوانين لم تتخطَّ المألوف ثبتت عَلَى مر الازمان · مع ان العادات تتغير وكذلك الانسان · شرائع لم يقتصر فيها عَلَى المعاملات، بل تناول بها ما وراء المنظور لكي تكون اوقع في النفوس

وابلغ للمنى ·

رأى كل ذلك دونه فصبا بنفسه الى ما وراء الطبيعة فبنى من الاوهام ابراجاً وامتطى من الغرور معراجاً · وقال في نفسه لعلي اله ولا ادري · ألست سيد هذه المخلوقات وسلطان هذه الكائنات ؟ فهل يصح ان يكون عنصري كعنصرها وحظي كحظها، يوم يروح ويوم يجيء، وارحام تدفع وارض تبلع ؟ لا · فانا من عنصر اعلى، لذلك نفسي تصبو اليه · أصلي منه ومرجعي اليه · فانا اله في صورة انسان او انسان في نفس اله

اله، ولكنه عبد شهواته وأسير احتياجاته، يرتدي ثوباً كثفت هيولاه، اليها مرجعه ومنها قواه، اله ينحل كالجماد ويتغذى كالنبات ويتألم كالحيوان · فاذا انحل لم يترك غير كثيف المادة، واذا اغتذى فلا يغتذي الا منها، واذا تحرك فلا يتحرك الا فيها وبها · اله يولد وما هو بباقٍ، ويموت وما هو بفانٍ · يمثل الفصول في ادوارها، والمادة في اطوارها · ينشأ بذرة كالنبات والحيوان · ينمو مثلهما ويتعاظم مستعيراً عناصر المادة الى ان يهرم، فيرقد في بذرته عائداً من حيث اتى بعد ان يكون قد رد الى الطبيعة ثياباً عارية، واخلاقاً بالية استعارها منها، ولم يكن له غنى عنها ·

علم ذلك كله في هبة مرَّت مر السحاب حطت من كبريائه وكسرت من خيلائه ارتسمت له الحقيقة فيها مجرَّدة عن زخرف الكلام وبهرجة الخيال — في هبة انتعاش هو منتهى الحياة وابتداء الموت كالانتعاش الذي يسبق انطفاء النور · استيقظ فيها كالنائم وقد انتبه، فرأى الحقيقة مرتسمة



في ظلال السرو
للمصور شوتنيز

أردية الاباء

لامين مشرق

يقولون ان الشعراء ألسنة الامم ، فالذي يتلفظ به لسان الشاعر هو الذي تتمخض به افكار امته ، والمعنى الذي يردده في ابياته هو المعنى الذي يتردد في قلوب ابناء شعبه . ولقد صدقوا ، فان الشاعر الذي نظم نشيد « التباراري » قد عبر به عن احساسات الشعب الانكليزي ، ولذلك ترى الشبان الانكليز يهزهم الطرب وتهيجهم الحماسة لسماع نغمته اللطيفة ، وكذا الشاعر الذي ألف نشيد « المارسلياز » فقد جمع تلك الكلمات من صراخ الشعب الفرنسوي المتحمس وعزمه المتأجج ، وكذا ايضاً الذي رتب نشيد « كولومبيا » فانه رنم لحنه الجميل بحناجر مئة مليون من الاميركيين . لذلك عندما يرتلون في احد الاعياد او في ايام الاحاد ، في حديقة عمومية ، او في تياترو ، او في قارب نزهة تراهم وقد كشفوا قبعاتهم واحنوا رؤوسهم ووقفوا بهيبة وخشوع يرنمون ذاك اللحن الذي رنمه شاعرهم بلسان واحد وقلب واحد وروح واحدة .

وهكذا نحن السوريين ، فان الله لم يبخل علينا بشعراء ينظمون افكارنا في عقود قصائدهم ويعلقون ميولنا على صدور مخمساتهم ويوشحون بعواطفنا اعطاف موشحاتهم ويتغنون بافراحنا وينوحون باحزاننا ويحلمون باحلامنا

ويشعرون بكل حركة وكل هزة تأتيها في اليقظة والمنام · ولقد كثر شعراوءنا لدرجة عظيمة وكثرت ايضاً موءلفاتهم وتنوعت بدائعهم فاتوا بالوف تفوق التيبراري والمارسلياز وكولومبيا وتوصلوا الى علو لم يسمُ اليه شاعر من شعراء الغرب حتى ان احدهم اضرم ببيتين فقط من شعره النفيس حرباً دامت تلتهم الخلائق مدة اربعين سنة · لكن هناك شاعراً — هو بعرفي شيخ شعرائنا وكبيرهم — قد ترك فينا اثراً فريداً لا يمكن لقوة بشرية ان تطمسه · قد خمدت الحرب التي دامت اربعين سنة ومضى ذكر البيتين اللذين اثاراها ، ولكن الشاعر الذي اعنيه الان — شيخ شعرائنا وكبيرهم — لم يمت منا اثره الفريد ولم يخمد ذكره ، بل انه خالد بخلودنا ، حي بحياتنا ، عامل فيها · نعم انه ذلك الشاعر المجيد الذي قال بقلبٍ كبير ولسان فصيح وصوت جهوري ·

من تردى برداءٍ ما رآه لابيهِ
سوف يأتيه زمان يتمنى الموت فيهِ

ما بالكم تنظرون اليّ شذراً وتجحظونني بعيون الاستخفاف ؟ كأني اراكم تتهامسون قائلين — ألم يجد هذا الجاهل في دواوين الشعراء اشعر من هذين البيتين ؟ ألم يجد في جميع مآثر العرب ما يساويهما ؟ واين ذهب ديوان المتنبي ، ولزوميات المعري ، وتائيات الفارض ، وموشحات الاندلسيين ؟ بل اين اختفت حوليات زهير ، ورباعيات الخيام ؟ وأنى اندثرت قصائد امرىء القيس وعنترة ولبيد والفرزدق وابي تمام ووو… الخ

حتى اتانا بهذه السفسطة الشعرية ؟؟

لكم ان تضحكوا يا اخوتي بقدر ما تشاوءون · ولكن ألا تسلمون معي بان مقام القصيدة او المقالة او الحكاية يتوقف علَى عظم تأثيرها في القارىء · ألا توءمنون بانه كلما زاد تأثير الشاعر في حياة امته ازدادت منزلته مكانة في عيون تلك الامة ؟ ألا تصدقون بلا تردد ان اشعر الشعراء واكتب الكتاب واخطب الخطباء هو ذاك الذي بدّل وغيّر وانقص وزاد في حياة شعبه اكثر من الجميع ؟ اذاً فقد اتفقنا · تعالوا نرَ ماذا غيرت فينا وبدلت لزوميات المعري وتائيات الفارض وقافيات المتنبي · تعالوا نفتش ماذا انقصت منا وزادت علينا حوليات زهير ورباعيات الخيام ومقامات الحريري واليازجي · اذا شئتم معرفة قيمة هذه الاشياء في حياتنا فاذهبوا الى المكاتب وانظروا تروها هناك كتباً قديمة ، ممزقة ، وسخة ، مطروحة في القراني ، مكفنة بالغبار ، والديدان تسرح وتمرح بين اوراقها المبعثرة ، والحشرات تدب وترتعي علَى جلودها الممزقة · اطلبوا هذه الكتب من البائع وانا اكفل لكم انه اذا لم يكن قديماً في هذه المهنة ربما ظنكم تطلبون كتباً فرنسوية او انكليزية لانه لم يسمع باسماء المعري والمتنبي والزمخشري والبحتري والعتابي والمهلبي · ترنموا امامه قائلين — « سائق الاظعان يطوي البيد طي » فيحني رأسه ويرسم اشارة الصليب ظاناً انها صلاة يونانية ويقول — « كيري يا ليسن يا رب ارحم » · هذا هو بائع الكتب وتاجر الادب ، فكيف بائع الحطب وتاجر الخشب ؟ وكيف بالفلاح الذي لم يرَ في حياته سوى النير والبقرة ، والراعي

الذي لا يدور عَلَى لسانه غير ألفاظ « عبيده ونجيمه وعتره وكحلا وعيوقه »؟ وما هي يا ترى حالة « ازعر » السوق الذي يتعلّق عقله وقلبه ودينه ورأس ماله وجميع حياته عَلَى كاس عرق زحلاوي ؟

كذا ، يا اخوتي ، ترون ان شعراءنا هوءلاء الفطاحل ليس لهم التأثير المرغوب فينا وبالتالي فليسوا شعراء الطبقة الاولى · واما الشاعر الاول الكبير فهو ناظم البيتين المذكورين لانه بهما قد علم امته درساً تشربته عقول افرادها وقلوبهم كما تتشرب الارض العطشانة مياه المطر ولا يزالون الى اليوم محافظين عَلَى هذا الدرس ، عاملين بوصية شاعرهم ، مستأثرين بحكمته المفيدة الفريدة · اي فتى واية فتاة ، اي رجل واية امرأة ، اي امير واي عبد ، اي حاكم واي خادم ، واي آدمي ربي تحت سماء سوريا ودارت عَلَى لسانه اللغة العربية لا يعرف هذين البيتين ولا يحفظهما في اعماق قلبه ان لم يكن لفظاً فمعنى ؟ اي بائع كتب واي بائع حطب واي تاجر خشب واي فلاح واي ازعر لا يوءمن بصحتها كما توءمن جدتي العجوز بألوهية جميع القديسين؟ قولوا لي اي سوري -- شيخاً كان ام غلاماً ، عجوزاً ام صبية -- لا يعرف ان كل رداء لم يلبس والده مثله هو شيء نجس لا يجوز ان يلمسه باصبعه ؟ هل رأيتم سورياً لا يعتقد بان كل عادة تمشى عليها ابوه هي قاعدة ذهبية لحياته ، وان كل زي وكل رأي وكل فكر وكل حركة وكل سكنة لم يعرفها ابوه هي كفر بالله والحقيقة والوطن ! وماذا تريدون اكثر من هذا ؟ امة كبيرة من اولها الى آخرها تبني حياتها عَلَى بضع كلمات خرجت من

فم رجل -- عَلَى بيتين من الشعر -- وتجعلهما قاعدة ذهبية لا تقبل زيادة ولا نقصاناً · اذاً ، أفلا تسلمون معي الان بان قائل البيتين هو امام شعرائنا واولهم وانه هو ، لا غيره ، صاحب اكليل الغار ·

اذكر مرة انني دخلت « تياترو » في نيويورك وكان غاصاً تلك الليلة بالمتفرجين · وكانت الرواية اميركية وفي نهايتها يظهر العلم الاميركي تحمله صبية وهي تغني النشيد المعروف « بلادي » · ولم تكد الصبية تظهر من ورآء الستار والبيانو تنقر اللحن حتى وقف الجمع دفعة واحدة قدام مقاعدهم وشرعوا يرنمون بصوت واحد « بلادي » · جعلت اصغي الى تلك الاصوات الجميلة المتآخية وهي تلحن عَلَى نقرات البيانو واتلذذ تارة بمهارة التلحين ، وطوراً بمعنى الالفاظ ، متأملاً بتلك الوجوه الضاحكة الفخورة فشعرت الشعر الذي يمثل عواطف امة كاملة ، الشعر الذي يصور حياة شعب بأسره ، بتواثب في صدري ولم اتمالك ان هتفت في سري -- هذا هو الشعر الحقيقي ، الشعر الذي تخفق له قلوب ربوات وتنكشف له روءوس ملايين · ثم عدت افتكر فتساءلت -- هل ترى ترك لنا شعراوءنا شيئاً كهذا نقدر ان نترنم به باتفاق ونكشف له روءوسنا في محافلنا واجتماعاتنا العمومية · وشرعت اشحذ ذاكرتي والقصائد والموشحات تمر في دماغي مرور البرق الواحدة تلو الاخرى الى ان وصلت الى بيت اليازجي المشهور ·

« ومذ اصبحت اذنابنا في روءوسنا   غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا »

ظننت لاول وهلة انني وجدت المطلوب ، فان هذا البيت في رأيي من

اشعر الشعر ، ولكنني عدت فعرفت اننا لا نقدر ان نرنمه جميعنا بوفاق تام ، لان كثيرين منا يمشون الى الامام فلا يستطيعون مشاركتنا بتلحينه . وللحال خطر ببالي البيتان المذكوران في اول هذه القطعة فقلت — هاهي ليلى ، ايها العامري ! نعم انني وجدت ضالتي . فهذان البيتان هما جزوء من كل فكر سوري وكل قلب شرقي . كلنا من الشيخ الفاني الى الطفل الرضيع نقدر ان نتفق عَلَى صحة هذا المعنى — وهو الشيء الوحيد الذي نقدر ان نتفق عليه .

وبينما كان الجمع حولي يرنم ما معناه — « من جوانب الجبال لترن اجراس الحرية » كنت اتصور امامي جمعاً سورياً كبيراً وفيه الشبان والكهول والاطفال والشيوخ والصبايا والعجائز يرنمون بصوت واحد صارخين

من تردى برداء   ما رآه لابيه
سوف يأتيه زمان   يتمنى الموت فيه

منظر بديع . شيء عظيم جميل . من هنا شعب حي قوي ، فخور ، طامح ، يرفع اصواته نحو الافق ويصيح بعزم وترفع — « يا بلاد الحرية والتمدن لترن من جوانب جبالك اجراس الحرية » ومن هناك شعب ضعيف منحل ، جبان ، قنوع ، قد علت جبينه صفرة الموت يتربع عَلَى الرماد ويرتدي ثوباً عتيقاً بالياً ويردد بما بقي له من الرمق — « اتركوني ايها الناس ألبس ثوب ابي لاحيا . ثوب ابي جميل وباقي الاثواب قبيحة وتجلب الموت » ألى هذا الحد يبلغ التفاوت بين الامم وهي من طينة واحدة . ألى هذه

الدرجة يبلغ التنافر بين الظلمة والنور . أهذا شعار امة تعيش وذاك شعار امة تعيش . أهذا شاعر مكلل بالغار وذاك شاعر مكلل بالغار ؟؟ سبحانك يا رب ما اعجب اعمالك في الارض !

اواه يا اخوتي . ليت ذاك الشاعر الذي علمنا ان لا نرتدي سوى ثياب آبائنا لم يولد . ليت ذاك الشاعر المجيد والفيلسوف الاجتماعي الكبير مات في بطن امه قبل ان فتح فاه ونطق بفلسفته المعوجة . بل ليته علق في عنقه حجر رحى وطرح في اعماق لجة البحر قبل ان جنى عَلَى امته هذه الجناية الفظيعة . واية جناية افظع واية جريمة اشنع من هذه الجريمة ! قد يقتل رجل رجلاً طلباً لثأر او دفاعاً عن عرض فتقوم عليه قائمة الشريعة لانه طهر الانسانية من قاتل وفاسد معاً ولكن الشريعة تغمض عيونها الحادة عن رجل يقتل شعباً باسره ظلماً وعداء لكي يسلي نفسه بكلام يسميه شعراً ، وبئس الشعر الذي يقتل الشعر وبئس الكلمة التي تفتك بامة .

من هو هذا الشاعر السخيف المعوج ؟ من هو هذا المتطفل عَلَى مائدة فلسفة الاجتماع ليعطي طعاماً مسموماً الى امة جائعة عليلة يحار في امرها مهر الاطباء ؟ ان هو الا جاهل ضعيف النفس والارادة ، سقيم الجسم والقلب ، فاقد الهمة والعزم ، نظر بعين الشوق والتحرق من وادي خموله وحقارته الى شوامخ الامجاد الناطحة السحاب والى شواهق المعالي التي شادتها سواعد التمدن الحديث فاستصعبته رفعتها واستهوته مناعتها ، ولكن العجز وصغر النفس حولا عنها عينيه بتذمر وتظاهر فقال في نفسه وقلبه يحترق كما قال

قبله اخوه الثعلب — « انه حصرم رأيته في حلب » رأى غيره يجد في سبيل المجد دائماً بعزمه العقبات ، مذللاً بيأسه الصعاب ، ساحقاً ببسالته الفخورة عوائق الاوهام والتقاليد ، مبدداً بنور عقله ظلمة العادات الذميمة والاعتقادات القديمة ، مسرعاً نحو التجدد والتحسين ، طائر وراء الحقيقة والنور وتطلع من ليله البهيم الى صبح تلك الامال البيضاء اللامعة والى جنات التجديد الخضراء اليانعة فرمقه ورمقها بعين الحسود ثم بلع ريقه عشرين مرة وجعل يفكر في اختراع عذر ينسيه وضاعته وخموله ويبرره امام الناس وامام نفسه من عجزه عن احراز المعالي فشرع يذمها ويحقرها في عيون سواه وجعل يمدح الثياب التي كانت لابيه ورائحة العفن المنتشرة من طياتها الوسخة تهب من آونة الى اخرى وتود لو ان لها الف لسان ناطق لتصيح بكل رئاتها واشداقها —

« كاذب كاذب »

ثياب ابائنا ؟ وما هي ثياب آبائنا ؟ ألعلها من الحرير الناعم فلا توءذي اجسادنا الناعمة ؟ ام هي من الديباج الموشى بالذهب والفضة فنتيه بها عَلَى اجنحة النسيم افتخاراً ! بربكم قولوا ما هي هذه الاردية الثمينة ! !

كنت من مدة احادث سيدة اميركية لها معرفة تامة باحوال السوريين وعاداتهم وخرافاتهم . وقادنا الحديث الى ذكر الصينيين وتمسكهم بمعتقدات الاباء والجدود فتبسمت وقالت — « انتم تضحكون من الصينيين واكثركم اولاد عمهم في المحافظة عَلَى عقائدكم القديمة » . قلت ما هذا الكلام ياسيدتي وجميع اجناس البشر تعترف لنا بمقدرتنا عَلَى تقليد الشعوب المتمدنة ومجاراتها

في الازياء والعادات . وهنا في اعظم مدنكم نيويورك هنا بين شعبكم الحر الراقي اكبر برهان عَلَى صدق كلامي . أتقدرين ان تميزي السوري من الاميركي الا من ملامحه ولون بشرته . فتبسمت ايضاً ابتسامة ذات معان جرحتني في داخلي واجابت — « نعم يا اخي انا لا انكر عليكم مهارتكم في تقليد الازياء ومقدرتكم عَلَى الانغماس بين انواع الشعوب ومجاراتها باللباس والمظهر . قد بدلتم الطربوش بالقبعة واعتضتم عن الحمار بالاوتوموبيل . حسن ، هذه من مظاهر التمدن . ولكن تعال نعمق قليلاً الى ما تحت هذه الستائر الخارجية هناك حيث تقطن حقيقة الانسان مخبأة عن العيون فهل نجد اثراً للتمدن الا في بعض الافراد الشاذين ، والشاذ لا يقاس عليه . ادخل الى نفس رجل او امرأة من العامة وفتش زواياها فلا تجد سوى صورة مصغرة لعصر ابائكم المحشو بالجهالات والخرافات وكره كل جديد وحسن . انتم كالجوز الفارغ لكم قشرة اعتيادية قوية ولكن اللب مفقود . لا توءاخذني فانني احب ان اتكلم بما اعتقد دائماً وخصوصاً مع من يحترم الحقيقة »

نعم ايها الناس انا احترم الحقيقة واحترم ايضاً من يقولها . انا احترم تلك السيدة الغريبة التي اهانتني في وجهي واهانت امتي ودمي فان في كلامها صدقاً وان في مجاهرتها ارتقاء وشرفاً . وبكل ما في صوتي من القوة اصيح مردداً لكي تسمعوني جميعكم — اثواب آبائنا معفنة ونحن جوز « مفوفش »

الى مَ التستر يا اخوتي والحقيقة ظاهرة لكل عين ؟ الى كم نخادع انفسنا ونغطي اغلاطنا بالنكران كمن يغطي النار بالفحم ؟ الى متى نرتدي

من اوهام وخرافات آبائنا اثواباً بالية تمجها اذواق العصر وتكرهها الايام الجديدة ؟ قد مات اباؤنا واندثروا فلماذا تحاولون نبش قبورهم ؟ كل يوم نرى جريدة او مجلة تعلن الجوائز لمن ينظمون احسن قصيدة او يكتبون افضل مقالة في رثاء العصر العباسي او ذكرى عصور الجاهلية . كيفما توجهنا وانى دخلنا نسمع القوم يتحدثون بالعصر الاموي الزاهر هذا يرثي وهذا ينتقد وهذا يفتخر . عجباً أنحن اليوم في العصر الاموي ام في العصر الدموي؟ أفي مواقف ذكرى ورثاء ام في تنازع عَلَى البقاء ؟ ما هو العصر الاموي والعباسي والجاهلي والعاقلي ؟ من هو هارون الرشيد ومن هو المأمون وجعفر ومعاوية وحاتم وطماطم ؟ هذه اسماء كانت ثمينة في ما مضى ، اما اليوم فقد امست ارخص من التبن واحقر من البلوط في سوق القرن العشرين . انني ارى اسماء المحمصاني والزهراوي والشمعه والمؤيد والمطران والهاني وغيرها افضل من تلك الاسماء القديمة وادعى للاحترام والتذكار . انني ارى في سنة ١٩١٦ ما يشغل عن جميع تلك العصور والاجيال . انظروا الى وطنكم كيف غدا مرسحاً يمثل عليه الجوع ادواراً فظيعة . انظروا الى شعبكم كيف يتألم مخنوقاً بحبال المشانق في ساحات بلاده وبين اهله . التفتوا وتأملوا كيف تذوب وطنيتكم وقوميتكم امام عيونكم وتتبخران كالدخان الى لا شيء . أتعلمون ؟ هذا رداء ابائنا . هم لبسوا الخمول والعبودية ثوباً ونحن فصلنا عَلَى منواله !

لا تظنوا ان القدر يلعب بحياة البشر كما يشاء ، ولكن البشر يلعبون به

حسبما يشاؤون . ما هو القدر ؟ ان هو الا كلمة وهمية تصور للعقول الضعيفة يداً اوسع من الفضاء واقوى من الجاذبية تمسك باصابعها الحديدية جميع هذا الوجود وتقلبه ثم تدحرجه ثم تطرحه ثم تعود الى تقليبه بين اصابعها والناس يتأثرون بهذا التقلب ، فتارة تنطرح امة عَلَى ظهرها ، وطوراً تقف عَلَى رجليها ، فهي آناً ذليلة مقهورة ، وآونة قوية منصورة ، اذا صفعها القدر سقطت ، واذا امسك بيدها تشددت .

هذا ما يعتقده البسطاء والضعفاء الهاربون من معترك الحياة ، ولكن المفكرين الاقوياء يضحكون من هذا الرأي الفاسد

هذه حوادث التاريخ امامنا من عهد آدم الى اليوم وهذه حوادث حياتنا اليومية واختباراتنا وتجاربنا تدل دلالة صريحة لا تقبل التأويل عَلَى ان القدر كلمة للاشيء وان القوة والسعي هما محور حياة الامم . اذا رأيتم الذئب يمزق حملاً ليأكله ، ثم رأيتم الاسد يمزق ذاك الذئب بدوره ليفترسه ، ثم رأيتم آدمياً يسجن الاسد في قفص من الحديد ويتفرج عليه هازئاً بقوته وخيلائه — فلا تقولوا انه القدر يجيء كلاً بدوره بل قولوا انها القوة تميت الضعيف لتحيي القوي . القوة ! هذه الكلمة الثلاثية هي القدر الذي يدير الوجود . القوة ! هذا هو الحظ الذي يجلب السعادة ابتسامه والشقاء عبوسه . القوة ! هذه هي الاجيال التي تبني وتهدم وتعلي وتخفض وتخلد الشعوب وتبيد الشعوب .

وكيف تأتي القوة ؟

بالتجديد والاكتساب ·

عندما كان الانسان لا يزال طفلاً في المدنية في بدء التاريخ يسكن الاوجار ويعيش بين الوحوش كانت للكواسر منها سطوة عليه واستبداد بحياته — لانها اقوى منه · دفعته الحاجة الى تقوية نفسه فجرب جسمه اولاً فلم يفلح · لم يقل ان الضعف حظه وان القدر اوجده ضعيفاً · لا · ولكنه شرع يحاول استنباط طريقة يزيد بها قوته فوجد السلاح · هنا انتقلت القوة من القوي الى الضعيف بماذا ؟ أبالقدر ؟ أبالحظ ؟ كلا — بالتجديد · وهذه هي حياة الامم العجيبة · هكذا تمحى دول وتعيش دول — بالتجديد — أسبقها اليه افضلها للحياة وامتعها بالبقاء

تصوروا ان البشرية جمهور متسابق وان الزمان جبل وان الكمال كنز في رأس الجبل · نقدر ان نقول اذاً ان جمهور البشرية يحاول الصعود الى رأس جبل الزمان ليفوز بكنز الكمال · الجبل عالٍ جداً فلا تظهر قمته للعيون وهو صعب المسالك كثير المزالق لا يرى المصعدون فيه الا اذرعاً قليلة قدامهم · لندعُ الذي امامهم جديداً والذي وراءهم قديماً · ها انهم يتسابقون مجدين في الصعود · هنا رجل قد صدمت رجله عوداً ناتئاً فانصدعت لكنه لفها بخرقة وعاود السير · وهنالك آخر تدحرجت صخرة عَلَى فخذه فرضته ولكنه غسله ببعض الماء من قربته واستأنف مشيه · وهناك ثالث زلت قدمه فوقع وشج رأسه ولكنه عصبه بعصابة قوية وجدّ ثانية في طريقه · وهناك في الطليعة بضعة رجال سبقوا الاخرين شوطاً بعيداً يسيرون

مجدين ، مستبسلين ، مستميتين وكل قد كتب عَلَى جبينه « الى الامام » وفي صدره يجول « يجب ان اسبق » · وهناك وراء الجميع — في الاسفل — بضعة رجال قد خارت عزائمهم فانطرحوا عَلَى بطونهم وجمدوا كالتماسيح ملصقين اجسادهم بتراب الجبل وكل يتذمر في قلبه قائلاً « ما اصعب الصعود ، وما اشد الخطر عَلَى حياتي ! مستحيل ان اصل سالماً » · ثم حولوا وجوههم نحو الوراء متطلعين بشوق الى اسفل الجبل وهاجت قريحة احدهم فتمطى وتثاءب وانشد من قلب مقروح —

بقدر الصعود يكون الهبوط   فلا تطلب القمم العاليه
وكن في مكان اذا ما سقطت   تقوم ورجلاك في عافيه

فتمطى الاخرون وتثاءبوا تلذذاً بحكمة رفيقهم وصاحوا —

« اصبت ايها الشاعر الحكيم والرفيق الحبيب » وهناك آخر جعل يتأمل في السهل البعيد وطرقه النظيفة الهينة ويتذكر كيف كان يسير بجانب والده عَلَى تلك المروج المنبسطة دون مشقة ولا عناء فتحركت عواطفه الرقيقة وجعل يترحم عَلَى والده ويبكي ثم أنشد —

من تردى برداء   ما رآه لابيه
سوف يأتيه زمان   يتمنى الموت فيه

وهكذا تمضي الازمنة وتكر العصور · اولئك يصعدون دائماً وابداً نحو الامام نحو الجديد نحو القوة وهؤلاء ينحدرون الى اسفل — الى منخفضات آبائهم الهينة المسالك · اولئك يمزقون اعضاءهم ويزدادون كل يوم همة

كل ساعة نشاهد نزاعاً هائلاً بين فروخ الامة السورية وشيوخها ، بين احداثها وكهولها ، بين جرثومة نموها وقشورها اليابسة . وفي كل ساعة نسمع عجيج العراك بين النور والظلمة ، بين القصور والقبور ، بين الحياة والموت ، بين القرن العشرين الجديد والقرون الوسطى القديمة . فالى متى هذا النزاع ، ومن يفوز يا ترى ؟

قد أُلقيت الحبة في الارض الرطبة وها جرثومة النمو تحاول الخروج لتصير سنبلة ملآنة فهل تشق الجرثومة قشرتها ام تخنقها القشرة في جوفها ؟

سوءال صعب جوابه . من يدري ماذا يأتي به المستقبل ؟ ولكنني اشعر — اشعر بان النور لا بد له ان ينبثق وان الجديد سيتغلب عَلَى القديم . الحياة تمشي عَلَى سنة بقاء الانسب بالرغم من زعم بعض القائلين بفساد هذه السنة . اذاً فلا بد للحسن ان يبقى وللمبتذل ان ينقرض . لا بد — بكل معاني هاتين اللفظتين — ان تطرح الحياة عن جسمها الثوب القديم وترتدي ثوباً جديداً — ثوباً جميلاً تمجد به امها الطبيعة واباها الله لان الله جميل ويحب الجمال . انا لا ازال اقول مع السيدة الاميركية اننا جوز « مفوفش » ولكنني اعترف ايضاً بانه يوجد بيننا بعض جوزات تحمل في بطونها جراثيم حياة مستعدة للنمو ، وان هذه الجراثيم التي نراها ضعيفة ستتحول بسرعة غريبة الى اشجار متينة خضراء تمتص غذاءها من الارض بقوة وعزم . انعم انني ارى « الثوب المرقع » الذي ارعبني بالامس يرتجف خوفاً من الايادي الكثيرة التي تكاد تمتد اليه لتمزقه تمزيقاً وتتركه هباء منثوراً . والى هذه الايادي

وعزماً وحياة وهوءلاء يتدثرون باردية آبائهم ويزحفون عَلَى بطونهم باعصاب مرتخية وظهور منحلة مقتربين رويداً رويداً من هاوية الخمول والتلاشي — هاوية الموت .

بعد ذلك يقف امثالهم عَلَى قبورهم ويقولون —

« سنّة الدهر . هذا حظهم »

كلا والف كلا . هذا جهلهم .

كفى كفى ! لو جئت اقدم لكم امثالاً عَلَى تشبث السوري باوهام وخرافات وخرق ابيه وجده البالية المنتنة لملأت عشرين مجلة كالفنون قبل ان آتي عَلَى جزء من مليون من هذه التحف الثمينة . في كل بيت سوري وكل مخزن سوري وكل قهوة سورية حتى وفي كل « مرحاض » سوري نرى آثار العادات القديمة والعقائد المشوشة والسلوك الوسخ بقعاً كريهة المنظر كريهة الرائحة تشوه وجه محيطهم الابيض وتستنزل عليهم احتقار هذا وشفقة ذاك . انني اتجرأ عَلَى القول بانه لا يوجد بيننا عائلة واحدة خالية من اب او ام او عم او خال او جد او جدة قدماء العقول والمشارب والعادات والميول يقفون حاجزاً منيعاً بين الاحداث وبين نجاحهم المادي وارتقائهم الادبي . كل يوم ، بل كل ساعة نقدر ان نرى بعين الفكر روحاً صغيرة جميلة تنظر الى فضاء الحرية الفسيح بشوق وحنين وتتخبط محاولة الافلات فلا تقدر لان يد القديم تقبض عليها باظافر حديدية . في كل ساعة نرى فتى يحاول التملص من ثوب ابيه الممزق فيتعثر باذياله ويسقط . في

المترددة اصيح بكل قوتي — مزقوا !

الى اخواني الشبان واخواتي الشابات الناظرين الى الحياة الجديدة بعيون المحبة والشوق — الى كل فتى و كل صبية ينظران الى اثواب الاباء بازدراء واشمئزاز والى كل قديم بكره ونفور — الى العقول المستنيرة التي تطلب الخروج من ظلمة الاوهام — الى الارواح المرتعشة حنيناً الى الحرية ، المتعطشة الى ينابيعها العذبة — الى النفوس الباسلة ، الكارهة جلجلة السلاسل ، المتمردة عَلَى اجيال العبودية — الى جميعكم ايها البواسل ارفع صوتي بامل وافتخار وانادي — سيروا !

امامنا عقبات كثيرة ، ولكنها ستذوب امام العزم الذي لا يذوب · وطريقنا طويلة طويلة فليكن صبرنا طويلاً طويلاً ولتكن هممنا شديدة شديدة · لا تلتفتوا الى خلف ولا تحاولوا اصلاح القديم فانه اصبح للموت بل اجتهدوا في اصلاح نفوسكم وفي تقوية ذواتكم لاستقبال الحياة — حياة الجديد — حياة القوة ·

هبوا ! ولننفض عنا غبار الخضوع والطاعة العمياء · انت ايها الفتى ، وانتِ ايتها الفتاة اللذان ربط الحب قلبيهما فتعاهدا عَلَى الزواج ، لماذا تخضعان لارادة والديكما فتمزج انت حياتك بحياة لم توجد لها وتلتصقين انتِ برجل لم يخلق لكِ ؟ لماذا تقتلان الحب لتحييا وهماً يدعى الطاعة الوالدية ؟ واي فضل تحرزانه في هذا العمل ؟ وانت ، ايتها المرأة المظلومة ، التي تحمل « جزدانها » قارعة الابواب من صباحها الى مسائها لتجمع بضعة ريالات ينثرها

زوجها عَلَى مائدة القمار ويرجع ليلاً لمجازاتها بالشتم والضرب ، لماذا لا تتركين هذا الزوج الفاسد وتبصقين في وجهه ووجه كل مذهب وشريعة تربطك به الى الابد ؟ وانت ، ايتها الصبية ، التي زوجوها صغيرة بكهل لا تميل اليه فتركته وآلت عَلَى نفسها ان تعيش حياتها وحيدة لئلا يسلقها الناس بألسنتهم البذيئة ، لماذا تبعدين عنك شاباً يعبدك وتعبدينه اكراماً لتلك الالسنة ؟ ولماذا لا تدوسين كل قلنسوة ولحية تقفان بينكما وتفقئين حصرماً في عيون ترى الحقيقة عاراً وزنى ؟ قد بدأتِ فلماذا لا تكملين ؟ انتم ، ايها المظلومون جميعكم ، لماذا لا تكسرون هذه القيود وتحطمون هذه السلاسل القديمة وتمرحون في فضاء الجديد وتعتصمون في معاقل القوة ؟؟

انظروا — ان كثيرين من ذوي العقول القديمة والنفوس الذليلة الخاضعين لضلال العصور المظلمة سيرمون هذه السطور بالجهالة والكفر ويضربون بها عرض الحائط باحتقار وغضب وعداء · انا لا ابالي ، لان سطوري موجهة اليكم واليكم تذهب · هؤلاء القوم اصبحوا عَلَى حافة القبر ، فلا يخيفكم منهم وعيد ولا يغركم فيهم سكوت · اذا ضحكوا منكم فاضحكوا منهم · وان نصحوكم فسدوا آذانكم ولا تلتفتوا · وان وقفوا في طريقكم فدوسوهم وسيروا · انما هم للعدم وانتم — للجديد — للقوة

سيروا يا اخوتي ! انني ارى الثورة تقترب · كلما نظرت الى هذه الوجوه المتشنجة والسحنات المنقبضة وكلما تأملت بهذه العيون الحادة الملتهبة الساكنة تمثل لي من ورائها ارواح هائجة كالبحار ، متدفقة كاللجج ،

ونفوس ملتهبة كالبراكين ، متواثبة كالصواعق ، وسمعت دمدمة بعيدة من اطراف الافاق تقترب وتنجلي رويداً رويداً فاقول في نفسي —

ثورة ! طوبى للمتمردين ! طوبى للابطال !

من وراء الجثث المتدلية من حبال المشانق — من وراء الاجساد الذائبة عَلَى نيران التجويع — من وراء الشراذم المتبددة في جميع اقطار الارض لا تحمل راية ولا تعرف وطناً — من ورآء هذه الايام السوداء والليالي المخيفة المحشوة بالمهالك — من وراء جميع ذلك ارى طلائع صبح ناصع البياض تبصبص في جبينه اسلاك من نور شمس لامعة مبشرة باقتراب نهار ساطع . ووسط هذا البهيق الجميل المهيب ارى عسكراً من الشبان المفتولي السواعد والصبايا الموردات الخدود والاولاد الممتلئين نشاطاً وحركة يرفعون رؤوسهم بكبر وافتخار ويصيحون باصوات تكاد تطبق الافق منشدين

من تردى برداء   ما رآهُ لابيهِ
نعمةُ الله عليه   وعَلَى كل بنيهِ

(الاكوادور)   « امين مشرق »

✡ ؟ ✡

قالَ الغراب وقد رأى كلف الورى   وهيامهم بالبلبلِ الصداحِ
لِمَ لا تهيم بي المسامع مثله   ما الفرق بين جناحه وجناحي ؟
أني أشد قوىً وامضى مخلباً   فعلامَ نام الناس عن تمداحي ؟

. . . . .

أمفرق الاحباب عن احبابهم   ومكدر اللذاتِ والافراحِ
كم في السوائل من شبيهٍ للطلا   فعلامَ ليس لها مقامُ الراحِ ؟
ليس الحظوظ من الجسوم وشكلها   السرُّ كل السرِ في الارواحِ
والصوت من نعم السماء ولم تكن   ترضى السما الا عن الصلاّحِ
حكم القضآء — فان نقمت عَلَى القضا   فاضرب بعنقك مدية الجرّاحِ !

ايليا ابو ماضي





الشهيد

لراغب متراج

* * *

هل رأيته ؟

هل رأيت ابتسامة الطفل عَلَى شفتيه ، والنور الالهي في عينيه ؟

هل رأيت النار الملتهبة في نفسه ، والمحبة الكامنة في صدره ؟

هل رأيته يقابل البغضآء بالحب ، واللطم بالاحسان ؟

قلبه أكبر من قلوب البشر ، ونفسه أعمق من الاعماق ·

رقيقة كالنسيم عواطفه ، وصلبة كالفولاذ ارادته ·

لين مع الضعفآء وقاسٍ مع الاقويآء ·

يعطي كلَّ شيء ولا يطلب شيئاً ·

جبَّار يسير في طليعة الامم ، وسراج يضيء لانارة الشعوب ·

جسر تعبر عليه الانسانية من وادي الظلم والعبودية الى سهول العدل والاستقلال ، ومن كهوف الظلمة والجهل الى قمم المعرفة والنور ·

شعلة تقذفها الالهة الى الارض فتطفئها يد الجهال والطغاة ·

فضله يعم الجميع ، والموت جزاء الفضل ·

في توقد عينيه جمال الفجر ، وفي سكون نفسه رهبة الابدية ·

حياته زيت في مصباح القدر

روحه خمر تثير الدمآء

غايته في الحياة واحدة ، واليها يسير بكل قواه ·

في كل أمة له مثال ، وفي كل ارض له تمثال ·

اله تكرمه الشعوب ، وتقدسه الامم — بعد الاوان ·

حياته نور ، وموته خلود ·

فما أجمله حياً ! · وما اعظمه ميتاً !



الاباء والبنون *

﴿رواية اجتماعية تمثيلية﴾

﴿لمخائيل نعيمه﴾

* * *

— تابع الفصل الاول —

اليأس — (الى داود بعد سكوت قصير) هل رأيت بعينك وسمعت باذنك ؟

داود — نعم . قد رأيت وسمعت . لكني لم أرَ ما يصدع العزم ولم اسمع ما يرسل اليأس الى القلب .

اليأس — والله لقد صدق المثل « الحرب بالنظارات هين » ! أتعني انك لو كنت مكاني لكنت تحاول ان تغير اعتقادات امك القديمة ، وتعلمها مبادىء جديدة كما لو كانت طفلة صغيرة ؟

داود — انا لم افقد بعد عقلي لاحاول المستحيل . لكني اعجب اذ اراك مع كل درسك وفهمك لم تدرك حتى الان ان اختلاف الاباء والبنين في الاذواق والميول والاعتقادات امر طبيعي ضروري لحياة الامم وحياة الافراد . وحيث فُقد هذا الاختلاف فقدت اسباب التقدم . اذا كان الولد يشب

ويشيب عَلَى الاعتقادات التي شبَّ وشاب ومات عليها والده قبله نفسها ، كما هي الحالة في بلادنا ، فلا سبيل الى الرقي عَلَى الاطلاق . ولو سألتني عن سبب انحطاطنا لاجبتك — لاننا نقتفي اثار اجدادنا وآبائنا في كل شيء كأننا نخاف ان نضل الطريق . لذلك لا نعثر عَلَى شيء جديد ولا نرى الا ما رأته الاجيال التي مرَّت قبلنا . نحن نخاف ان نخالف ابائنا حتى في امور تافهة ونعد ذلك جرماً كبيراً . طاعة الوالدين عندنا اساس الحياة البيتية . والانقياد لاراء الشيوخ ركن حياتنا الاجتماعية . ذلك لاننا لا نميز بين « الطاعة » و « الاكرام » . موسى قال — « اكرم اباك وامك » ونحن زدنا عَلَى ذلك فقلنا — « اطع اباك وامك حتى عَلَى هلاكك وهلاكهما » الفرق بين الطاعة والاكرام كما بين الارض والسماء . ربما وجب ان « نكرم » اباً او اماً جاهلين ، منحطين ، حتى همجيين . لكن « طاعة » والدين كهذين طاعةٌ عمياء ، في احوال ندركها نحن خيراً منهما ، لجرم كبير امام الله وامام الناس . ولو فحصت لوجدت اكثر الاباء والامهات في بلادنا من هذه الطبقة المنحطة ادبياً وعقلياً . انا لا انكر ان قلوب امهاتنا غنية بالمحبة الفطرية والتضحية . لكن الحيوانات غنية بهذه العواطف نفسها . اقول المحبة « الفطرية » لان هذه المحبة التي تبديها امهاتنا نحو اولادهنَّ ليست ارفع من محبة البقرة لعجلها والشاة لحملها . ما دام الولد معافى ، ما دام مكسواً ، ملآن البطن ، تبقى الام راضية . هي لا تسأل عن حاجاته الروحية ، ولا تهتم بنموه العقلي والروحي . وتكاد لا تحلم ان ابنها ، ولو كان ملآنًا

البطن ، ربما يكون فارغ العقل والقلب وفقير الروح · امهاتنا — واباؤنا كذلك — يعتقدون ان الولد سلعة او متاع لهم حق التصرف به كيف شاءوا ، ولا يدرون انه كيان مستقل بذاته ، له روح مختصة به وقلب منفرد عن قلوبهم · ولهذا ما اكثر ما يسوقون بنيهم الى الهلاك وهم لا يدرون · كل ذلك لان سلطة الوالدين عندنا لا تزال مقدسة ولاننا لا نميز بين اكرام الوالدين وطاعتهما طاعة عمياء · وعندي ان الشاب الذي يخضع لارادة والديه ، مع اعتقاده ان والديه مخطئان وهو مصيب ، يجرم أمام نفسه وأمام والديه والفتاة التي تنقاد بدون تمرد او عصيان لامر امها او ابيها ، عالمة انها ستصل الى هاوية الهلاك ، تضيع كل حقوقها لاستئناف دعواها الى محكمة الحق وعدل الانسانية · نعم · البنت التي تضحي حياتها لارضاء خاطر امها او ابيها — لا اكثر — لا تستحق شفقة ولا رحمة ···

الياس — لو جرى الكل بمبدأك لاصبح الاباء والبنون في خصام مستمر

داود — اذا كان ما تعنيه بالخصام تناقضاً في الافكار والاذواق — فحبذا ذلك الخصام · واذا كان ما تعنيه مشاجرات جسدية — فلا كان الاباء ولا كان البنون · ولا اجد باباً لهذا الخصام اذا ادرك البنون ان السر ليس في تغيير اراء ابائهم واعتقاداتهم بل في معارضة تلك الاعتقادات وعدم الانقياد لها اذا كانت احوال اليوم ، وحاجات عيشة اليوم ، وعلم اليوم وفلسفته تنبذها وتدمغها بدمغة الخرافات والترهات والاوهام ·

الياس — دع عنك هذه الفلسفة فهي اكبر اوهامك · ربما صح ما تقوله

في بلاد غير بلادنا السورية · اما هنا فالشعب قد شاخ باطفاله وشبانه · شعبنا غراب مسن — لا فرق بين قوادمه وخوافيه · ابناؤنا يولدون شيوخاً وبناتنا يولدن عجائز · فلا رجاء بتجديد ما عتقه الدهر ·

داود — ذاك صحيح ما دامت الحال كما هي الان — اعني ما دمنا متنسكين منفردين عن العالم ، محصورين ضمن حدود بلادنا كالبزاقة في صدفتها · لكن الحال قد بدأت تتغير ولا ينكر ذاك سوى الاعمى · نحن لا نقدر ان ننفرد اليوم عن العالم ولو اردنا لان براثين مدنية القرن العشرين قد احاطت بنا من كل صوب وفج — فعبثاً نطلب الفرار : ها بعض شباننا قد اخذوا يحجون الى بعض البلاد الاجنبية لا لكسب مالها بل لاقتناء علومها · عددهم يزداد كل سنة : هوءلاء هم الذين سيجدون الهوة بينهم وبين ابائهم تزداد عمقاً من يوم الى يوم ، وهوءلاء هم الذين سينفثون دماً جديداً في جسم امتنا الجامدة · انت واحد منهم ، لكنك الى الان لم تتحرر من سلطة ماضينا تماماً · ولا تزال تخشى معارضة الاوهام والخرافات والاعتقادات القديمة اذا جاءتك في جلد اخٍ او اختٍ او امٍ او ابٍ او عم او كاهن او شيخ او موظف محكمة — وهذا هو ضعفك ·

الياس — ما ألذ الاحلام وما أمر اليقظة ! ستفيق من حلمك لما تقف وجهاً لوجه ضد هذه الخرافات والاوهام التي تحسب حربها اسهل من جرعة الماء · دعك من هذه الاحلام يا داود — فانت تخدع نفسك · انت تظن انك في مدرستك قادر ان تبث في عقول الاحداث وقلوبهم ما تشاوءه من

الافكار الجديدة · لكنك تنسى ان ما تلقيه من بذور الخير -- او ما تحسبه خيراً -- ضمن جدران المدرسة تخنقه الاشواك ضمن جدران البيت ·

وهل يبلغ البنيان يوماً تمـامه   اذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ ؟

دعك من هذه الاحلام فانت تحاول ان تنقل مآء البحر في قمع بلوطة -- وهذا جنون · أليس كذا يا زينة ؟ (زينة تحمر خجلاً وتطرق)

خليل يغني ورآء البـاب بصوت خشن -- « جنن -- تيـ -- نا يا حا -- وه -- يا بيـ -- ضا وجنن -- تيـ -- نا ···» يفتح الباب بيساره ويقف مخاطباً رفيقاً خارجاً -- « بشوفك الليلة في قهوة الجسر · آ ؟ الساعة ثمانيه · اوعى تنسى ! سلم ! » يدخل مغنياً « يا حا -- وه -- يا بيـ··· يقف في الباب مبهتاً وقد رأى الحضور داخلاً)

خليل -- هب ··· (واضعاً يده علَى فمه) يا عيب الشوم · بردون · بردون · مل بردون مسيه ! (الى زينه) بشوفك بالبيت -- ما رحتيش تزوري سعادة البيك اليوم ؟ قه · قه · قه · (يستخرط في الضحك) عريسك عريس يا اختي ما شاالله ! الله يخلي لك ياه · ضحكنا عليه ضحك اليوم حتى ما عاد لنا ضلاع ··قه · قه · قه · (ضارباً كتف الياس بطرف عصاه) بتعرف قهوة الجسر يا الياس ؟ اجتمعنا هونيك ثلاثه · عبد الفقير وحنا سركيس ومخايل عون -- ثلاثه الله يكون بالعون -- من اللي نزعوا الدبس عن الطحينه · شويه وهو فايت ناصيف بيك · مصنف قصيدة طويلة عريضة · وجايي يقرا لنا هيه · سمعنا له سمعنا له تانعسنا · ساعتها غمزني مخايل عون · هات يا صبي

خمسانية · هات غيرها · تفضل يا ناصيف بيك · ناصيف بيك لمن شاف بنت نوح طوي قصيدته وحطها بجيبته · واول قدح · ثاني قدح · ثالث قدح -- ناصيف بيك دارت معه الامور · دق بوكر يا شباب ! ناصيف بيك رفع ايده قبل الكل · اول فت · ثاني فت -- ناصيف بيك ربحان · ثالث فت · رابع فت -- ناصيف بيك بعده ربحان · حنا سركيس قبعت معه الامور · فتيت انا وقلت « پاس » · مخايل عون قال « پاس » · ناصيف بيك بدل ورقتين وشلح ليره عا الطاوله وعينه بتبص · سركيس غمزني وشلح ليرتين · ناصيف بيك قال -- هي ليرتين بعد · سركيس شلح ثلاثه · ناصيف بيك خمسه · سركيس عشره · ناصيف بك بالآخر قبعت معه شال كل شي ربحه وكل شي كان معه -- ثلاثين ليرة -- وشلحها عا الطاوله وفتح ورقه · كل وجهه بيضحك · اربع اسوس · شو معك يا سركيس ؟ سركيس كشف ورقه عا النسّ اس · ريّا · بنت · كول · عشرة · كلهن ديناري · قه · قه · قه · هُو ! يا ريتك شفت البيك هاك الساعة · قه·قه·قه جنس اللون ما بقي في وجهه · اصفر مثل الزعفران · بعلمك كان يضحك وينظم شعار -- بدقيقة تشّ مثل التليعه · ما حاجة البيك مصيبته -- ابن عون صار يتمقرع عليه والكل -- انظم لنا قصيدة عن البوكر يا ناصيف بك! هاتو عرق -- جابوا عرق · عندي ، عندك · البيك نسي التلاتين ليره وصار يغني شعار · انا وسركيس فلينا · والبيك وابن عون قاعدين · عندي --عندك فلينا والبيك عن يغني --

البوكر قرح لي قلبي   قلبي قد قرّح لي البوكر
اس اس اس اس   قدرت الربح بها مسوكر
لكن ماذا يجديك الاس اذا كان الحظ ...

بيوصل لهون وبيضرب الطاوله بايده — لعن الله القوافي ! تركناه وبعده بيفتش عاقافيه · قه · قه · قه · هيق ! البوكر قرح لي قلبي · قه · قه · قه · لو خسرلو شي مايه ليرة بفرد قعده ترى عا اي لحن كان بيغني ؟ قه · قه · قه · (ام الياس تدخل فجأة من باب اليسار · خليل واضعاً يده على فمه) هب ! بردون · مل بردون ، ماما ! كنت نايمه ووعيتك ؟ يلعن ساعة الشيطـان ·

ام الياس — (بغضب) انت بتوعي الموتى من قبورهم · عا ايش هالضحك كله ؟ — ما بسمعك الا بتضحك · (الى زينة) وانتِ ايش بعدك قاعده تعملي هون ؟ (زينه تنهض للخروج ولا تخرج)

خليل — كنت عن خبر الياس وحضرة الافندي (مشيراً الى داود) شو الاسم بالخير ·

داود — داود سلامه ·

خليل — عبد ربك العفو ! المعلم داود من مدرسة عين الدلبه -- مش هيك ؟ والنعم والسبع تنعام · سمعت · سمعت بصيتك · مش حضرتك اللي طالع بديانه جديده ؟ (الى امه) كنت عن خبر الجماعة عن ناصيف بيك · خسر ثلاثين ليرة اليوم عافرد قعده · وطرق سكره يا امي عاالفكر !

ام الياس — انتَ لو انك بتضب لسانك ورا سنانك ما كان في احسن منك · بزماني ما شفت اطول من لسانك واكتر من حكيك · شو عن تقول انو ناصيف بيك خسران بالقمار وسكران والله اعلم ايش بعد ؟ انا بعرف ناصيف بيك وبعرف انو ولا بزمانو لعب بالقمار ولا بزمانو شرب قدح عرق · وبعد هادا وكله حلّك تفهم ان ناصيف بيك خاطب اختك · وانو مش لازم تفتح تمك وتحكي عليه قدام الغريب والقريب فهمت ؟

خليل — قه · قه · قه · ما ابسط قلبك يا امي ! ناصيف بك لا بيشرب ولا بيلعب بالقمار ! قه · قه · قه · شو اذا كان خاطب اختي بدك اذا شفته سكران قول شفته رايح عاالكنيسة واذا شفته عن يلعب بالقمار قول شفته عن يصلي ؟ — والله فصل !

ام الياس — (بغضب كلي) انا قلت لك انو ناصيف بيك بزمانو لا شرب ولا مسك ورق قمار بايده · وحاجتك لت وكتر حكي · اذا كان شرب لو مصة عرق — شوهالمصيبة ؟ كل الشباب بيشربولهم قدح !

خليل — لكن يا امي ناصيف بيك ما شربش مصة بس — شرب نص رطل يمكن ·

ام الياس — سكر تمك وانصرف من وجهي بقا ! قلت لك ناصيف بيك ما بيشربش · وبعدك بتقول لي انو سكران

خليل — بردون ، ماما ، خطيت ومنك المسامحة · سكوزمي (يحني راسه · يدخل ناصيف بيك من باب الصدر متمايلاً · في يده عصا وطربوشه

فوق اذنه اليسرى)

ناصيف بيك — (يبرم عصاه في يده ويرندح — البوكر قرح لي قلبي · قلبي قد قرح لي البوكر) اين خليل ؟ اين هذا المغضوب عليه ؟ ألم اقل لك ان ناصيف بيك لا تعصاه قافية ؟ وجدتها وجدتها ! غصباً عنك وغصباً عن سيبويه · لا تصدق ؟ اسمعوا اذن — البوكر قرَّح لي قلبي — قلبي قد قرَّح لي البوكر · هل سمعت في حياتك ألطف من هذا القول يا الياس ؟ وانتِ يا امرأة العم المحترمة — هل سمعتِ قط شعراً كهذا الشعر ؟ قلبي قد قرَّح لي البوكر · أسٌّ اس اس اس · اعني اربعة أسوس · أس · أس · أس ؛ أس · قدرت الربح بها مسوكر · اربعة أسوس ! من لا يخاطر بثلاثين ليرة وفي يده اربعة أسوس ؟ لكن أسمعوا البقية · قدرت الربح بها مسوكر · لكن ماذا يجديك الاس اذا كان الحظ ··· من منكم يقدر ان يجد قافية لهذا البيت ؟ من منكم درس العروض ؟ ارنا فصاحتك يا الياس · او انت (مشيراً الى داود) يا حضرة الافندي هنا · هل درست جنابك العروض ؟ أعطني قافية لهذا البيت وانا اتخلى لك عن بيكويتي · لكن ماذا يجديك الاس اذا كان الحظ ··· تكلموا — مالكم سكوت ؟ أها ! الشعر صعب وطويل سلمه · فاسمعوا اذن · (يعيد الابيات من اولها) لكن ماذا يجديك الاس اذا كان الحظ ··· هل وجد احد احد منكم القافية ؟

خليل — اذا كان الحظ معوكر ·

ناصيف بيك — (مبهوتاً · يضرب الطاولة بيده) ولا وحق ربي انت سرقتها مني · انت لص · انت سراق · والا من اين اتيت بها وانا صرفت ثلاث ساعات ابحث عنها حتى وجدتها ؟ لا · انت لص · يا خيبة املي فيك

خليل — (مستغرقاً في الضحك) قه · قه · قه · لا وحياة رأس البيك · قه · قه · قه · قدحتها من ضميري وشلتها · قه · قه · قه ·

ناصيف بك — (بغضب كلي) لا والله انت سراق والف سراق · انت ارذل من سراق · انت تسرق من الشاعر قوافيه · تسرق جواهره · انت كمنت لي عَلَى الطريق فسمعتني ارددها والان لا تخجل ان تدعي انك وجدتها · ومن انت لتعرف شيئاً عن الشعر وقوافيه ؟ امي بربري همجي لا تعرف الكوع من البوع ولا تقدر ان تعرب ضرب زيد عمراً

داود — ألا تقدر ان قد حصل توارد خواطر بينكما ؟

ناصيف بك — توارد خواطر ؟ بيني وبين هذا الابله ؟ وانت من انت لتحكم في امور كهذه ؟ هل جنابك نفطويه ام سيبويه ام الامام الشافعي · توارد خواطر — والله فصل ! وماذا تعرف حضرتك عن توارد الخواطر ؟ ماذا تعرف عن الشعر ؟ اعرب لنا — ابي كوى الحمار !

الياس — (آخذاً بيد ناصيف بك) لا تنسَ ان المعلم داود ضيفي وانه في بيتي · واذا اهنته تكون قد اهنتني ·

ناصيف بك — ان كان في بيتك او في بيت ربنا — من اقامه قاضياً بيننا ؟ انا اقول ان اخاك سرق القافية مني — فدعه يدافع عن نفسه اذا كان بريئاً · وما دخلك او دخل سواك في هذا الامر ؟

الياس — (واضعاً يده عَلَى كتف ناصيف بك) ألا تظن ان الافضل ان « تعطينا مدور زنارك » ؟

ام الياس — (تستشيط غضباً) الياس ! ألزم حدك وسكر بوزك ! انت اعطينا مدور زنارك — انت وصاحبك ! مينك انت في هاالبيت تخمين ؟ (الى زينة التي قد استخرطت في البكاء) وانتِ — شو ضربتك السخنه عَلَى قلبك بعدك قاعدي هون ؟ ليش ما بتنقبري عَلَى اوضتك ؟ فزي بهاالدقيقه وسكري تمك — لا عشتِ تبكي ان شاالله · (زينة تخرج باكية) أو — هو ! كل مِن صار بدو يمشي براسو بهاالبيت مبين · (الى خليل) انقلع انت من وجهي والكل · كلكم انقلعوا من وجهي · (خليل يخرج من بابِ اليسار · داود يأخذ طربوشه ويخرج من باب الصدر قائلاً لالياس — « اتأمل ان اراك غداً » (الياس يشيعه الى الباب) والله والله فصل · كل واحد صار بدو يعيش براسو · لا تواخذني يا ناصيف بيك · تفضل استريح انا راجعه قوام · (تخرج من اليسار)

ناصيف بك — قافية قضيت ثلاث ساعات ابحث عنها ليأتيني حمار كهذا ويقول انه وجدها في اقل من دقيقة · والله فصل · توارد خواطر ! اضرب واضرب

البوكر قرَّح لي قلبي   قلبي قد قرح لي البوكر
أسّ أس أس أس   قدرت الربح بها مسوكر
لكن ماذا يجديك الاس   اذا كان الحظ معوكر

الستـــار

الفصل الثاني

الاشخاص   المعلمة شهيدة — اخت المعلم داود سلامه

الياس سماحه

داود سلامه

زينة

ام الياس سماحه

(غرفة المعلم داود · باب في الصدر وآخر الى اليمين · لا نوافذ · عند الحائط الغربي سرير مركب من ثلاثة صناديق بترول فوقها ألواح خشب مغطاة بلحاف فوق طرفه الواحد مخدة · عند منتصف الحائط الشرقي طاولة بسيطة عليها دواة و كتب واوراق مرتبة · ارض الغرفة عارية (مدقوقة عدسة) لكنها نظيفة كل النظافة · في الغرفة كرسي واحد من الطراز القديم · عَلَى الحائط الشرقي رسم تولستوي وتجاهه عَلَى الحائط الغربي رسم المسيح · شهيدة جالسة عَلَى الكرسي بجانب الحائط وفي يدها مكوك وبكرة خيطان بيضآء · عَلَى الطاولة قنديل بترول نمرة ٣ · الساعة التاسعة مساء)

شهيدة — (تتثاءب ثم تفرك يديها) حو · شو هالبرد ! عجب ! ماذا اعاق داود الى الان يا ترى ؟ هل حدث له مكدر لا سمح الله ؟ (سكوت · تسمع طرقة عَلَى الباب فتركض بسرعة لتفتحه) رجع والحمدالله ! (تفتح الباب وترجع الى الورآء مذهولة · يدخل الياس وعَلَى رأسه قبعة من الفرو

مغطاة بالثلج . ينفض قبعته ورداءه خارجاً)

الياس — (نافخاً في يده) ليلة سعيدة

شهيدة — سعيدة ومباركة . تفضل .

الياس — اين المعلم داود ؟ أليس في البيت ؟

شهيدة — استدعاه بعض جيراننا منذ ساعتين وحتى الان لم يرجع . وقد وعدني ان يعود قبل الساعة الثامنة . والان الساعة التاسعة . اخاف ان يكون قد ضلّ الطريق في هذه العاصفة . هل لك ما تطلبه منه ؟

الياس — احب ان اراه لشأن يتعلق بي وبه . أتظنين انه يرجع قريباً

شهيدة — كان يجب ان يرجع من زمان . واذا لم يكن قد حدث له حادث فسيكون هنا بعد قليل ألا تحب ان تجلس؟ اعذرني سآتيك بكرسي .

(تهم ان تخرج الى اليمين)

الياس — لا بأس . ساجلس عَلَى السرير اذا أذنت لي

شهيدة — اتخذ حريتك .

الياس — (جالساً عَلَى السرير) ألست المعلمة شهيدة اخت المعلم داود ؟

شهيدة — نعم .

الياس — عجباً . لم أركِ قبل اليوم هنا . ألعلك لا تسكنين في هذه المدينة ؟

شهيدة — انا اعلم في مدرسة ابتدائية ولا اتمكن من زيارة اخي الا في عطلة الصيف او عيد الفصح أو عيد الميلاد . وقد جئت اليوم لاقضي معه

عيد الميلاد .

الياس — ألا تخافين ان تبقي وحدك في البيت في مثل هذه الليلة ؟

شهيدة — ومما ، أو ممن أخاف ؟

الياس — من اللصوص . وما ادراكِ اني انا لست لصاً ؟

شهيدة — وماذا يطلب اللص هنا ؟ اما انت فلو كنت لصاً لما طرقت الباب قبل ان تدخل . ومع ذلك فانا لم أسمع بلص خرج من بيت بطرس سماحه .

الياس — (بدهشة) وما ادراكِ اني من بيت سماحه ؟ هل رأيتني قبل هذه المرة ؟

شهيدة — هذه اول مرة اراك فيها . لكني للحال عرفتك وعرفت اسمك . اسمك الياس بطرس سماحه .

الياس — (بدهشة اشد من الاولى) هل انتِ ساحرة أم نبية ؟ لنفرض انك سمعت اسمي من داود . لكن من اين عرفت اني انا هو الياس سماحه بعينه

شهيدة — (ضاحكة بلطف) لست ساحرة ولا نبية . أيصعب عليك ان تعرف كيف اهتديت اليك ولم أرك من قبل ؟ الامر بسيط . داود كتب اليَّ عنك مراراً ووصفك لي وصفاً مدققاً . حتى انه أرسل اليَّ صورة الوثيقة التي كتبتها تعهداً عَلَى نفسك وكل من ذهب مذهبك . « بتاريخه نحن الواضعين اسماءنا ادناه قد تعهدنا ان نضع حداً لحياتنا بواسطة المشنقة قبل بزوغ شمس العاشر من شهر آب الخ . (ضاحكة بلطف) لما قرأت هذه

الوثيقة استلقيت عَلى قفاي من الضحك · لا تؤاخذني — هل في ذاك ما يجرح احساساتك ؟ أخال ان كل من يقرأها لا يقدر ان يتمالك نفسه من الضحك · ألم تضحك انت لما كتبتها ؟

الياس (بخجل) وماذا يضحكك فيها ؟

شهيدة (باسمة) ربي ! ماذا يضحكني فيها ؟ تضحكني كلها من أولها الى آخرها · يضحكني ان شاباً مثلك عاش مقدار ما عشت انت ، ولم يدرك حتى الان جمال الحياة · انا اغبط نفسي لوجودي في هذا العالم واشكر خالقي عَلى ذلك من أعماق قلبي · انا أعشق الحياة بمقدار اني لا اجد وقتاً لافكر مثلك في هل شرها اكثر من خيرها أو بالعكس · أمراض الجسد وآلام النفس واوجاع القلب تمر في حياتي كسحابة صيف ، فلا تعمي بصري عن جمال الكون · الحياة جميلة بدوني · ومن لا يرى هذا الجمال يجب ان يبحث عن السبب في نفسه · ما ضر الشمس لو شتمها الاعمى ؟

الياس — آه لو ادري ما هذا الجمال الذين تتكلمون عنه كلكم ايها المتعلقون باذيال هذه الدنيا ! جمال الحياة ، لذة البقاء ، غبطة الوجود — هذه كلها كلمات جميلة رنانة ، لكنها فارغة خداعة ·

شهيدة — حبذا لو كنت فيلسوفة لاحدثك بلغة الفلاسفة · كيف اقدر ان افسر لك ما لا يتفسر ، تقريباً ؟ انا اعرف اني احب الحياة ، انما لا اقدر ان اشرح لك سر هذا الحب · خذ لك مثلاً — انا اعلم البنات الشغل اليدوي في مدرسة ابتدائية · كنت مرة اشرح لهن طرزاً جديداً من الكروشه شغله

صعب جداً · صرفت نحو ساعتين دون جدوى · تعب لساني من الكلام وتمرمر قلبي من كثرة الشرح والبنات كأنهن لم يفهمن شيئاً من كل ما قلت · أخيراً قطعت كل أمل وطرحت السنارة من يدي ووبخت البنات توبيخاً لم يسمعن مثله مني كل مدة وجودي في المدرسة · دعوتهن « تيوس حمير · رؤوس متلانه نخاله · خرجهن مش المدارس رعاية البقر » وغير ذلك من هذا النوع · واعترف لك اني في تلك الدقيقة كرهت المدرسة والتعليم · لما فتحت المدرسة في اليوم التالي وجاء وقت الشغل اليدوي اقتربت مني احدى البنات وأخرجت من جيبها بقجة صغيرة أعطتني اياها بيد مرتجفة قائلة — « معلمتي · شوفي لي هاالخرج » · وماذا تظنني وجدت في تلك البقجة ؟ وجدت خرجاً طوله ذراعين من الطرز الذي شرحته للبنات في اليوم السابق · بياضه ولا بياض الثلج · واتقانه بالاجمال يفوق كل ما رأته عيني من ذاك النوع قبل ذاك اليوم وبعده · أتصدقني لو قلت لك اني سكرت بفرحي كل ذاك النهار · ولو سألتني عن سر فرحي لما قدرت ان ابينه لك · ربما كان ذلك لفرح الابنة التي نظرت اليها في تلك الدقيقة فوجدت السعادة تضحك في عينيها وفي كل خط من خطوط وجهها · أو ربما كان فرحي لادراكي اني كنت سبب فرح تلك الابنة · هذا مثال صغير فسره كما شئت · اما انا فلا اقدر أن افسره · انما اعلم ان فرحي في هذه الدنيا أن أسبب فرحاً لسواي · وعندي أن هذا هو سر السعادة

الياس — هنيئاً لك ولاخيك · اذا كانت السعادة ، كما تقولين ، في ان

يسبب المرء فرحاً لسواه ، فانا بعيد عن السعادة بعد الجحيم عن الجنة · انا لا اقدر ان اسبب فرحاً لاحد ، ولا اظن ان وجودي في هذا الكون او سعادتي تهم احداً عَلَى الاطلاق ·

شهيدة — وما ادراك ان فتاة في هذه الدقيقة تسعد برفقتك ؟

— الياس فتاة ؟ أتعنين الزيجة ؟ اذا كان في العالم فتاة تبحث عن التعاسة بكل وجوهها — فهذه ربما قبلت بي زوجاً ·

شهيدة — هذه اختك · داود اخبرني ان أمك تريد ان تزوجها رجلاً لا يميل قلبها اليه ولا يستحق ان ينظف حذاءها · فلماذا لا تعمل لخلاصها ؟

الياس — اختي هي الشخص الوحيد في هذا العالم الذي تهمني سعادته وراحته · وقد جئت هذه الليلة لاتكلم مع داود بشأنها

شهيدة — حديثنا كاد ينسيني داود · ترى ماذا حلَّ به ؟ وهذه العاصفة لم تسكن بعد · (سكوت)

(يفتح الباب · فتهب شهيدة بسرعة نحوه هاتفة — « اذكر الذيب وهيء القضيب » لكنها ترجع للحال الى الوراء مذعورة اذ ترى داود عاري الرأس شعره مبعثر فوق جبينه ومغطى بالثلج · يسيل الدم من صدغه الايسر وقد جمد بعضه عَلَى اذنه وخده وذقنه · في يده اليمنى منديل ملطخ بالدم وقد ضمه الى عينه اليمنى)

شهيدة — (تطرح نفسها عليه مذعورة) داود ··· داود ··· ويلي · ويلي ··· (تبكي معانقة اخاها) « البقية تأتي »

الجريمة الأولى

❋ انظر الصورة التاريخية في هذا الجزء ❋

اذا تصفحنا الكتب التاريخية للتفتيش فيها عن بدء الشرور وأصلها بين الورى يقودنا البحث بعد أخذ ورد الى التوراة فهي من خيرة المراجع في هذا الشأن ·

واول شر تشرحه لنا التوراة هو سقوط آدم وحواء في الخطيئة ومخالفتهما اوامر الباريء · وهذا الشر هو من قبيل اعتداد الانسان بنفسه وطموحه عَلَى حقارته ، الى مساواة الالهة · ولذلك كان جزاوءه الطرد من الفردوس ، ومقاساة الاوصاب والالام ، وحرمانه الخلود ·

والشر يقود الشر · واذا تعرَّض الانسان للخطيئة فقد يُقدم عَلَى صغائرها وكبائرها · وهكذا جرى · فان الخطيئة الثانية التي حدثت بعد الطرد من الفردوس كانت جريمة فظيعة سلب بها الاخ حياة اخيه — وهي قتل قايين بن آدم أخاه هابيل ·

سبب هذه الجناية ، عَلَى ما روت التوراة ، ان هابيل وقايين قدَّما ذبيحتين لله فقبل منهما ذبيحة هابيل ورفض الاخرى · فاغتاظ قايين وحسد اخاه عَلَى النعمة التي نالها في عيني الرب فقتله ·

اي ان الجريمة الاولى في هذا الكون كان أصلها الحسد

ولكن متفقهي التاريخ من المسلمين يضيفون الى ذلك سبباً آخر غريباً — وهو غيرة قايين عَلَى اخته الحسناء من اخيه هابيل

من لا يؤمن عند قراءته هذه الكلمات بالمثل القائل — « فتش عن الامرأة » ! ?

وهاك القصة كما وردت في كتب التفاسير الاسلامية —

كانت حواء لا تلد من البنين الا توءامين فولدت في بادىء الامر قابيل (قايين) وتوءامته في الجنة بلا وحم ولا وصب · ثم ولدت هابيل واخته في الارض بعكس ذلك · ولما شبّ بنو آدم خير ابوهم كلاً منهم ان يتزوج ايّ أخواته شاء الا توءامته التي تولد معه ، فانها لا تحل له · ولم يكن يومئذٍ من النسآء الا حواء وبناتها · فلما ادرك قابيل سن الزيجة أمره ابوه ان يتزوج توأمة هابيل · وأمر هابيل ان يتزوج توأمة اخيه قابيل · فرضي هابيل بذلك وأباه قابيل وكرهه تكرهاً عن اخت هابيل ، ورغب باخته لانه كان يحبها · وقال — نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض ، فانا احق باختي · وقيل ان أخت قابيل كانت عَلَى جانب عظيم من الحسن فضنّ بها عَلَى اخيه وارادها لنفسه · فلما وقع الخلاف وطال النزاع بين البنين وأصرّ قايين عَلَى رفض ما أمره به ابوه قال له آدم — « يا بني ، قرب قرباناً ، وليقرب اخوك هابيل قرباناً، فايكما قبل الله قربانه فهو أحق بها · » وكان قابيل عَلَى بذر الارض وهابيل عَلَى رعاية الماشية ، فقرّب قابيل قمحاً وقرّب هابيل من ابكار غنمه · فارسل الله ناراً بيضآء فاكلت قربان هابيل · وبذلك كان



ادم وحواء وابنهما هابيل المقتول

للمصور رينولت

الله يقبل القربان · فغضب قابيل وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان وقال لاخيه —

« لاقتلنك حتى لا تكون اختي زوجة لك »

فقال له هابيل — « انما يتقبل الله المتقين · لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك » · فاتبعه قابيل الى البرية حيث كان في ماشيته وقتله ·

وهكذا حدثت اول جريمة عَلَى الارض ·

ومن الغريب ان اول من مات من بني البشر عَلَى الارض مات قتلاً



مرور العاصفة

***

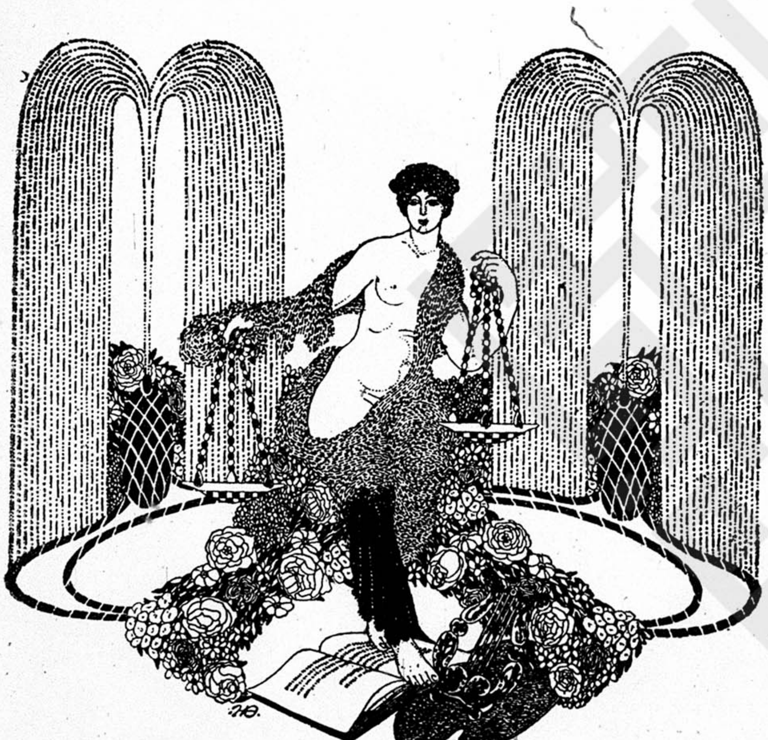
أرأيت البحر يرغي مزبداً ... موجه يحكي جبالاً زاحفه
وجبين الافق في لون الدجى ... وعيون السحب تهمي واكفه
وحسام البرق قد شقَّ الفضا ... وكرات الرعد تدوي قاصفه
وهزيز الريح يعلو صافرا ... تهلع الاكباد منه واجفه
وكأن الغاب جند في وغى ... وعَلَى طعنٍ وضربٍ عاكفه
ووحوش البرِ في اوكارها ... وذوات الريش باتت خائفه
وعَلَى الجوِ نقاب قاتم ... وعَلَى الارض سيول جارفه
قوة عمياء يعيي حدها ... ساعة فيها تهب العاصفه

. . . . . .

هكذا نفسي لقد مرت بها ... عاصفات في الليالي السالفه
حين كان الحب دوحاً مزهرا ... وله امتدت ظلال وارفه
اذ فوادي راقص وجداً عَلَى ... صوت آلات الاماني العازفه
وبنفسي نزعات للهوى ... تتوالى كالبروق الخاطفه
وانا الان وقد ولى الصبا ... وعدتني عاصفات العاطفه
سكنت نفسي وكنتُ مثلما ... تسكن الارياح بعد العاصفه

« نعمه الحاج »

بابُ الانتِقادِ



الحنطة والزوان

نظرة في « الايوبيات »

* * *

يتوهم البعض انني اجد لذة كبيرة في التنديد بشعرنا وشعرائنا والمجاهرة بفقرنا الى الادب والادباء · يقولون انني لا ارى في حياتنا الادبية سوى جهتها السوداء ، وانني احول نظري عن كواكبها وشموسها ، وان لا وتر عندي اضرب عليه سوى وتر الندب ، واني اسير في حقل حياتنا فلا تقع عيني سوى عَلَى زوانه واشواكه · وما حيلتي اذا كنت لا ارى من حولي سوى الزوان والشوك ؟ اذا شكوت فقرنا فلاعتقادٍ راسخ في عقلي باننا لن نسعى وراء تحسين حالتنا حتى ندرك كل ما فيها من البوءس والظلمة والخمول · واذا ندبت وجه يومنا القاتم فلاني اومن بان فينا من القوى والمواهب ما يجعل يومنا باسماً ويبدل ظلمتنا بنور · واظن ان يومنا يتمخض بغدٍ باهر لكن ولادة هذا الغد ستكون محاطة باوجاع مبرحة سببتها لعنات أمسنا · ونحن نشعر الان بهذه الاوجاع لكننا نحتملها كما تحتملها الوالدة التي ستصبح اماً ·

وفي « الايوبيات » نرى صورة هذا الدور الانتقالي الذي نتكلم عنه · في ديوان رشيد ايوب قد لامس طرف ليلنا اهداب فجرنا · وهذه حلاوة

الديوان في نظرنا ·

من يطالع قصيدة « فرديناند وجيشه » او « حنين » او « رثاء المطران هواويني » او « وقفة عَلَى الهدسن » وسواها ولا يسمع فيها اصواتاً قديمة عرفناها وألفناها وملَّها سمعنا ؟ أم من يقرأ ابياتاً كهذه —

اذا ما نسيم الشوق هزَّ قريحتي   تساقط منها الدر في روضة الشعرِ

أو —

لا شاع شعري بما احتوى درراً   ولا تباهت بنظمي العربُ

أو —

ألمت بصدري كل نازلة اذا   ألمت بصم الراسيات تزعزعُ الخ ·

— من يقرأ مثل هذه الابيات ولا يدرك عَلَى الفور انها رنَّات اوتار قديمة في شعرنا اخذت والحمد لله تتقطع رويداً رويداً ؟

اذا سئمنا القديم ونبذناه فليس لاننا نعد كل قديم بالياً فاسداً · ربما صعب عَلَى شاعر اليوم انينظم في موضوع لم تتناوله قرائح الشعراء قبله · ربما لم يترك لنا امروء القيس والنابغة والمتنبي وابو تمام وسوفوكلس وهوميروس ودانتي وشكسبير وملتون ما نقدر ان ننظم اليوم فيه الشعر وندعوه جديداً · لكن الشاعر الحقيقي من يرى هذه الاشياء نفسها فيطرحها في أتون عواطفه ويمددها عَلَى سندان قريحته ويصقلها بمصقل افكاره ثم يقدمها لنا في هيأة جديدة تساعدنا لنرتفع فوق اقذار الحياة وشناعتها الى جمال البقاء وكماله · واكثر شعرائنا الذين يشكون قلة المواضيع الشعرية ، ولذلك يعالجون المطروق

والمبتذل ، لم يدركوا هذه الحقيقة — ولعل ابناء الغد سيدركونها ·

اذا ضاقت بالشاعر الطبيعة كلها فلا يجب ان تضيق به نفسه · نفس الشاعر وقلبه خزينة لا تفرغ لمن يعرف اسرارها ويفكر في غوامضها · وهذه الخزينة هي التي لجأ اليها رشيد ايوب فاتحفنا منها ببعض هدايا ثمينة هي الحنطة في ديوانه وما بقي فزوان · من هذا القبيل نعد قصيدة « خلياني » ·

هنا نسمع روح شاعر حقيقي نظرت الى ما حولها فرأت نفسها « غريبة » ورأت « شأنها عجيباً » — ليس يحلو لها « سوى الليل الطويل » لذلك تطلب ان تنفرد بنفسها، وتصيح بل تتوسل — « خلياني ! » · هذه الروح نفسها تحيا مع الطبيعة في كل احوالها واطوارها وتنشد —

احب الشتاء لان له   ضباباً كهمي ثقيلاً كثيف
واهوى الربيع فانفاسه   دواء لجسمي العليل الضعيف
واصبو الى الصيف مستأنساً   بوحشة ليلي الطويل المخيف
وتشتاق نفسي الخريف وقد   تجنى علي زمان الخريف

هذه النفثات من قلم الشاعر تكفر عن كل ما في الديوان من المساوىء فتنسينا هنا بيتاً ركيكاً وهناك قافية « محشوة — لضرورة الشعر » ·

لا فلسفة في الديوان نقدر ان نعيرها هنا انتباهاً خاصاً · شاعرنا يكثر التأفف من امور الحياة ولا يحاول ان يعلل ولو ابسطها · فكر بأمر الموت والحياة فلم يجد جواباً سوى —

فلعمري ليس الا حلماً   ذلك الفردوس قصة الرواة

ثم عاد فوجد الافضل ان يترك كل هذه الامور المبهمة للخالق · لذلك ينصحنا —

خل الامور لربها   لا شيء في الدنيا عرف
هيهات تدرك ياءها   ما زلت تجهل ما الالف

دعى البعض رشيد ايوب « شاعراً رقيقاً » ولا ننكر عليه « لقبه » لان في بعض قصائده — كتلك التي يخاطب فيها شبابه — من الرقة ما لا نراه في اشعار كثيرين من اخوانه في الفن · لكن اهمية « الايوبيات » — كما قلنا سابقاً — في انها تمثل الدور الحالي في حياة شعرنا — دور الانتقال — اذ قد جمعت بين القديم المستهجن والحديث المستحب · فيجب ان تطالع لما فيها من الرقة والحداثة ·

« مخائيل نعيمه »

في عالم التأليف

« العواطف » — مجلة نصف شهرية تصدر في بوينس آيرس عاصمة الجمهورية الفضية لمنشئها انطونيوس خ · جمل · صدر الجزء الاول منها في غرة كانون الاول سنة ١٩١٦ في ٢٤ صفحة · بدل اشتراكها ليرة انكليزية

« الايوبيات » — صدر ديوان « الايوبيات » وهو مجموعة اشعار منتخبة جادت بها قريحة رشيد أيوب احد الشعراء الناهضين في المهجر · والديوان يقع في ثمانين صفحة ويضم قصائد ومقاطع هي طليعة ما نظمه المؤلف · ثمنه ريال اميركي ·



اهم الحوادث في تاريخ العام المنصرم

في ٥ كانون الثاني — اخمدت الجنود البحرية الاميركية نيران الثورة في هايتي .

في ٧ كانون الثاني — دحر الاتراك في العراق الجيش البريطاني الزاحف بقيادة الجنرال ايلمر لانقاذ الجنرال تونشند المحصور في كوت الاماره منذ ٧ كانون الاول سنة ١٩١٥

في ١١ كانون الثاني— استولى الاوستريون عَلَى جبل لوفتشن المنيع أهم حصون الجبل الاسود .

في ١٢ كانون الثاني— افتتح الجيش الاوستري ستنجه عاصمة الجبل الاسود

في ١٢ كانون الثاني — انتخب الفردو مارينو رئيساً لجمهورية الاكوادور

في ١٠ شباط — طلب عمال السكك الحديدية في الولايات المتحدة ، وعددهم اربعمئة الف رجل ، انقاص اوقات عملهم الى ثماني ساعات في النهار

في ١٦ شباط — اقتحم الروسيون بقيادة الغراندوق نقولا قلاع ارزروم

فاستولوا عَلَى المدينة بعد حصارها خمسة ايام .

في ١٧ شباط — أعلنت حكومة بريطانيا انتهاءها من اخضاع مقاطعة كامرون الجرمانية في افريقيا .

في ٢١ شباط — حملت الجيوش الجرمانية حملتها الرهيبة عَلَى قلاع ڤردون بقيادة ولي العهد بعد براز مدفعي ظل ثلاثة ايام . وكان ذلك بدء معارك ڤردون التي لعبت دوراً مهماً في الحرب الاوربية

في ٢٣ شباط — حجزت البورتوغال عَلَى المراكب التجارية الجرمانية الموقوفة في مرافئها . فعقب هذا العمل اعلان جرمانيا الحرب عليها في الثامن من اذار .

في ٢٥ شباط — استولى الروسيون عَلَى كرمانشاه في العجم . وقد كانت في يد الاتراك والاكراد .

في ٢٦ شباط — احتل الاوستريون دورازو عاصمة البانيا

في ٢ اذار — استولى الروسيون عَلَى بتليس بزحفهم عليها زحفاً سريعاً مدهشاً من ارزروم . وبين المدينتين مسافة ١١٠

في ٩ اذار — اخترقت عصابة الخارجي فيلا حدود الولايات المتحدة وهاجمت بلدة كولومبس في ولاية نيومكسيكو

في ١٥ اذار — دخلت الجنود الاميركية اراضي المكسيك لتأثر الخارجي فيلا والقبض عليه .

في ٢٢ اذار — أقلع يوان شي كاي رئيس جمهورية الصين عن عزمه

عَلَى المناداة بنفسه امبراطوراً لاندلاع نار الثورة في جنوبي الصين

في ١٢ نيسان — سقطت طرابزون امام قوات الروسيين البرية والبحرية

في ١٩ نيسان — هاجمت فرقة من جنود الاتراك عشائر الاعراب في كربلاء بالعراق فدارت الدائرة عليها ٠ وكان ذلك سبباً لنهوض قبائل الاعراب ونزوعهم الى الثورة ٠ وامتد شرار هذه النار الى الحجاز فهب انور باشا يستوسط ائمة المسلمين لحسم الخلاف ٠

في ٢٠ — ٢٥ نيسان — استلب جمال باشا قائد الجيوش التركية في سوريا اوراق القنصلية الافرنسية وقد كانت بحراسة القنصلية الاميركية فلم يبالِ جمال بذلك بل انتهك حرمتها وفضّ اختامها واستولى عَلَى الاوراق عنوةً وبينها بعض رسائل الجمعية الاصلاحية البيروتية وحزب اللامركزية ٠ فنجم عن ذلك شنق مئات من خيرة شبان سوريا وزعمائها اسلاماً ونصارى ، ونفي عائلاتهم ومناصريهم الى اقصى الاناضول

في ٢١ نيسان — توفي في تركيا الفيلد مارشال فون درغولتز منظم الجيوش التركية بالحمى الرقشاء (وقيل بل مات مردياً برصاصة تركي ، وقيل بالسم) ٠

في ٢٢ نيسان — القي القبض عَلَى السر روجر كاسمنت الارلندي بينما كان يحاول انزال اسلحة جرمانية الى ارلندا

في ٢٤ نيسان — نشبت الثورة في دبلن عاصمة ارلندا

في ٢٥ نيسان — وصل الجيش السربي الجديد الى سلانيك ، وقد جهزته

فرنسا ومرنته في جزيرة كورفو

في ٢٨ نيسان — سلم الجنرال تونشند الانكليزي المحصور في كوت الاماره الى الاتراك ومعه ٩٠٠٠ جندي ٠

في ١ ايار — القي القبض في برلين عَلَى الدكتور كارل ليبكنخت زعيم الاشتراكية في المانيا لمناهضته السلطة العسكرية وأساليبها

في ١ — ٣٠ أيار — تمخضت العقول في بلاد العرب بالثورة عَلَى الاتراك

في ٧ أيار — استقال الجنرال خوان خيمنيز من رئاسة جمهورية نيكاراغوا لانتقاض الثائرين عَلَى حكومته ٠

في ١٧ أيار — انتخب فردريكو كارفاجال رئيساً لجمهورية سانتودومينغو

في ٣١ أيار — تلاحم الاسطولان البريطاني والالماني في البحر الشمالي قرب ساحل الدانمرك ٠ فحدثت معركة بحرية هائلة اسفرت عن خسائر جسيمة للفريقين ٠ وقد اعترف البريطانيون بانهم لخسروا في هذه الموقعة ست طرادات وثماني مدمرات ٠ واقرّ الالمانيون بانهم خسروا مدرعة وخمس طرادات وخمس مدمرات ٠ وتُقدّر خسائر النفوس بتسعة الاف وخمسمئة

في ٤ حزيران — بدأ الجنرال بروسيلوف قائد الجيوش الروسية الجنوبية بهجمته الجارفة عَلَى المراكز الاوسترية في غاليسيا بعد منازلة مدفعية ظلت ثلاثة ايام

في ٣ حزيران — وضع الاحلاف سلانيك ضمن نطاق الحصار واستولوا عَلَى دوائر الحكومة فيها ٠

في ٥ حزيران — اصطدمت البريطانية هامبشير بلغم قرب سواحل جزائر اوركني بينما كانت في طريقها الى روسيا ، فغرقت وغرق معها اللورد كتشنر ناظر حربية بريطانيا وحاشيته ٠

في ٦ حزيران — مات يوان شي كاي رئيس جمهورية الصين فنودي بلي يوان هنغ رئيساً بعده ٠

في ١٢ حزيران — انتخب هيبوليتو ايريغوجن رئيساً لجمهورية الارجنتين

في ١٥ حزيران — بليت مدينة نيويورك بوبآء وافد يدعى « فالج الاطفال» ففتك بالاطفال فتكاً ذريعاً ٠

في ١٧ حزيران — افتتح الروسيون بقيادة الجنرال ليتشيتسكي تشيرنوفيتسا عاصمة بوكوفينا ٠

في ٢٢ — ٢٥ حزيران — سحق الروسيون جيش اوستريا الجنوبي ونظفوا مقاطعة بوكوفينا من العدو

في ٢٩ حزيران — حُكم عَلَى السر روجر كاسمنت الارلندي بالاعدام لثبوت تهمة الخيانة عليه ٠

في ١ تموز — ابتدأت المعارك الطاحنة في السوم بهجوم عام قامت به الجيوش الافرنسية والبريطانية ٠

في ١ تموز — بدأت الولايات المتحدة بسحب جنودها من المكسيك تدريجاً

في ١ — ٣٠ تموز — اعلنت الثورة العربية في الحجاز بدعوة شريف مكة المعظم حسين بن علي ، والقصد منها تحرير الاماكن المقدسة العربية من ظلم

الاتراك وغطرستهم وتأسيس مملكة عربية جديدة ٠ واستولت جنود الشريف عَلَى جدة والطائف ٠

في ٦ تموز — أمضيت المعاهدة الجديدة بين روسيا واليابان

في ٩ تموز — وصلت الغواصة التجارية الالمانية دتشلاند الى المياه الاميركية ورست في ميناء بلتيمور ٠ وهي اول غواصة من نوعها قطعت الاتلانتيك سالمة ٠

في ٩ تموز — انتخب رامون فالدس رئيساً لجمهورية بناما

في ١٠ تموز — انضم نوري شعلان امير قبائل الرولا الى الثوار العرب٠ ويقال انه هو الذي سعى بايصال اخبار جمال باشا وفظائعه في سوريا الى الشريف ٠

في ١٨ تموز — ذُكر رسمياً في مجلس الدوما ان الاحلاف اتفقوا عَلَى السماح لروسيا بالاستيلاء عَلَى الدردنيل بعد الحرب.

في ٢٠ تموز — أجلت السلطة الجرمانية الحربية قسماً كبيراً من سكان البلدان الافرنسية والبلجيكية الواقعة في موءخرة جيوشها ونقلتهم الى المانيا٠ وعذرها في ذلك قلة الطعام واغراض حربية ٠

في ٢٥ — ٣٠ تموز — وصلت اول النجدات التركية الى الخطوط الاوسترية بطريق بلغاريا وسربيا ٠ وعدد رجالها سبعون الفاً

في ٣٠ تموز استولى الروسيون عَلَى ارزنجان

في ٣ آب — اعدم السر روجر كاسمنت الارلندي شنقاً ٠

في ٩ آب — استولى الايطاليون عَلَى غوريزيا بعد معامع دامت اشهراً

في ٢٣ آب — ارسل شريف مكة المعظم بلاغاً الى الامة العربية بواسطة وكيله في مصر يشرح فيه الاسباب التي دعته الى خلع نير الترك

في ٢٥ آب — استولى البلغاريون عَلَى ثغر قواله اليوناني

في ٢٧ آب — شهرت رومانيا الحرب عَلَى اوستريا والمجر · فاصبح عدد الدول المتحاربة ١٥ وفي عدادها جمهورية سان مارينو الصغيرة

في ٢٨ آب — شهرت جرمانيا الحرب عَلَى رومانيا

في ٢٨ آب — تلاحم الرومانيون والاوستريون لاول مرة في معابر جبال الالب الترانسلفانية ·

في ٢٩ آب — عين الفيلد مارشال فون هندنبرغ قائداً عاماً للقوات الجرمانية جمعاء ·

في ٣٠ آب — شهرت تركيا الحرب عَلَى رومانيا

في ٣٠ آب — قدمت نجدات روسية الى دوبرودجا لاسعاف الجنود الرومانية ·

في ٧ ايلول — توغلت جيوش الرومانيين في ترانسلفانيا فاستولت عَلَى اورسوفا ·

في ٧ ايلول — نقح مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة معاهدة الدانمرك · وفي جملة بنودها الموافقة عَلَى مشترى جزائر الدانمرك في الهند الغربية بقيمة ٢٥ مليون دولار ·

في ٨ ايلول — وقع الرئيس ولسن شريعة « الثماني ساعات » الجديدة القاضية بان تكون ساعات الشغل لعمال السكك الحديدية لا اكثر من ثمان في النهار ·

في ٩ ايلول — افتتحت الجيوش الجرمانية البلغارية سلستريا في رومانيا

في ١٤ ايلول — لاول مرة في تاريخ الحروب استعملت المدرعات الارضية الضخمة لهدم الخنادق ومهاجمتها · استعملها البريطانيون في ساحة القتال الغربية

في ٢٥ ايلول — غادر الزعيم فينزيلوس اثينا وبمعيته الاميرال كوندريوتيس وسواه من الزعماء للقيام بحركة وطنية في كريت وسالونيك

في ٢٩ ايلول — أسس فينزيلوس وكوندريوتيس حكومة يونانية جديدة موقتة ·

في ٣٠ ايلول — تولى الفيلد مارشال فالكنهاين قيادة الجيوش الجرمانية في ترانسلفانيا وبدأ الرومانيون هنالك بالتقهقر ·

في ٩ تشرين الاول — قدم فينزيلوس الى سالونيك للسعي بما يوءول الى خير الاحلاف ·

في ١٠ تشرين الاول — اذعنت الحكومة اليونانية صاغرة بتسليم اسطولها الى الاحلاف ما عدا ثلاث قطع منه

في ٢٠ تشرين الاول — نادت جرمانيا واوستريا باستقلال بولندا الروسية وصيرورتها مملكة دستورية يرأسها ملك

في ٢٢ تشرين الاول — استولى القائد الجرماني ماكنسين عَلَى ثغر كونستانزا

الروماني بعد ان دحر الرومانيين والروسيين في دوبرودجا ·

في٢٩ تشرين الاول (الموافق ٢ محرم سنة١٣٣٥ هجرية)—بويع الشريف حسين بن علي ملكاً عَلَى العرب ·

في ١ تشرين الثاني — انتخب ماريو منوكال لرئاسة جمهورية كوبا للمرة الثانية ·

في ٦ تشرين الثاني — قُتل علي دينـار سلطان دارفور المنتقض عَلَى البريطانيين ·

في ٧ تشرين الثاني — انتخب وودرو ولسن لرئاسة الولايات المتحدة للمرة الثانية وقد حاز ٢٧٦ صوتاً ناخباً ونال مزاحمه القاضي هيوز ٢٥٥ صوتاً

في ٧ تشرين الثاني — انتخبت مس جانيت رانكين لعضوية مجلس النواب الاميركي عن ولاية مونتـانا · وهي اول امرأة نالت هذه الوظيفة في الولايات المتحدة ·

في ٩ تشرين الثاني — حُكم بجائزة نوبل في الادب عن عام ١٩١٥ للروائي الافرنسي رومين رولان موءلف رواية « جان كريستوف » الشهيرة· وعن عام ١٩١٦ للشاعر فرنار هايدنستام الاسوجي ·

في ١٨ تشرين الثاني — استولى الاحلاف عَلَى مناستير بعد جهاد ابدى به الجيش السربي ضروباً من البسالة

في ٢١ تشرين الثاني — انتقل الى عدالة ربه فرانسوى جوزف امبراطور اوستريا والمجر

في ٢٩ تشرين الثاني — اذاع المستشار الامبراطوري في الريشستاغ ان جرمانيا مستعدة لقبول صلح يضمن سلامتها ومستقبلها ، ولكن اعداءهـا يحولون دون ذلك

في ٢٩ تشرين الثاني — اعلنت الولايات المتحدة الاحكام العرفية في سانتو دومينغو لحماية مصالح الاجانب ولضمانة الديون الاجنبية

في ٢ كانون الاول — استلمت وزارة خارجية الولايات المتحدة نبأ برقياً من مكة تحتج به الحكومة العربية الجديدة عَلَى فظائع الاتراك في بلاد العرب· والرقيم ممضى من الشيخ فوءاد الخطيب كاتم اسرار وزارة الخارجية العامل

في ٣ كانون الاول — وصل الى باريس وفد الشريف ملك العرب · فاستقبله رئيس الوزارة المسيو بريان ·

في ٥ كانون الاول — استقال هربرت هنري اسكويث رئيس وزارة بريطانيـا · فسقطت وزارته المختلطة · وكان قد ظل في وظيفته منذ عام ١٩٠٨

في ٦ كانون الاول — استولى ماكنسين عَلَى بوخارست عاصمة رومانيا

في ٩ كانون الاول — شكل لويد جورج وزارة بريطانية جديدة ·

في ١٢ كانون الاول — بعثت جرمانيا وحليفاتها بمذكرات الى الدول المتحايدة تعلن فيها رغبتها في مفاوضة اعدائها بشوءون الصلح في موءتمر يعقد لاجل ذلك ·

في ١٣ كانون الاول — عُين الارشيدوق كارل ستيفن نسيب امبراطور

اوستريا والمجر وصياً عَلَى مملكة بولندا الجديدة ورشح للملك ٠

في ١٤ كانون الاول — وافقت الدانمرك باكثرية الاصوات عَلَى مبيع جزائرها في الهند الغربية من الولايات المتحدة

في ١٤ كانون الاول — أنتخب ادموند شولتهس رئيساً لسويسرا

في ١٥ ك١ — استعاد الافرنسيون آخر ما خسروه من المراكز في فردون

في ١٥ ك١ — اذعنت حكومة الملك قسطنطين لمطالب الاحلاف القاضية بسحب الجيوش اليونانية من تساليا

في ٢٠ ك١ — ارسل الرئيس ولسن مذكرة الى الدول المتحاربة موءرخة في الثامن عشر من هذا الشهر يرغب اليهم بها ان يصرحوا بشروطهم لتكون اساساً للمفاوضات في الصلح ٠

في ٢٢ ك١ — افتتح البريطانيون مدينة العريش المحصنة الواقعة عَلَى البحر المتوسط قرب حدود فلسطين ٠

في ٢٧ ك١ — رُقي الجنرال جوفر الى رتبة المارشالية السامية

في ٣٠ ك١ — اجاب الاحلاف مذكرة جرمانيا بالرفض

❋ وفيات الاعيان في سنة ١٩١٦ ❋

« الجنرال فكتوريانو هوارتا » — رئيس جمهورية المكسيك السابق توفي في ١٣ كانون الثاني ٠ وله من العمر ٦١ عاماً ٠

« هنري جايمس » — كاتب اميركي وانكليزي مشهور توفي في ٢٨ شباط وعمره ٧٢ سنة ٠

« كارمن سيلفا » — ملكة رومانيا ٠ عرفت بهذا الاسم المستعار في عالم الادب ٠ كانت لها منزلة رفيعة بين كتَّاب اوربا ٠ توفيت في ٢ اذار ولها من العمر ٧٢ عاماً ٠

« رتشارد هاردنغ دافيس » — روائي اميركي ومراسل حربي شهير ٠ توفي في ١١ نيسان ٠ وعاش ٥٢ سنة ٠

« الفيلد مارشال بارون كولمار فون غولتز » — القائد الالماني منظم الجيش التركي ٠ توفي في ١٩ نيسان وله من العمر ٧٣ عاماً ٠

« الجنرال جوزيف غالياني » — احد مشاهير قواد فرنسا ووزير حربيتها السابق ٠ توفي في ٢٧ ايار وله من العمر ٦٧ عاماً ٠

« جايمس هيل » — متمول اميركي ومن ارباب السكك الحديدية ٠ له الفضل العميم في عمران غربي الولايات المتحدة الشمالي ٠ توفي في ٢٩ ايار ٠ وله من العمر ٧٧ سنة ٠

« يوان شي كاي » — اول رئيس عَلَى جمهورية الصين توفي في ٦ حزيران وعاش ٥٧ عاماً ٠

الاستاذ ايليا متشنيكوف » — العالم الروسي الشهير نزيل فرنسا ٠ اشتهر بابحاثه في البكتيرولوجيا واطالة الحياة ٠ وكان رئيساً لمعهد باستور في باريس ٠ توفي في ١٥ تموز ٠ وله من العمر ٧٢ سنة ٠

« جايمس ويتكومب رالي » — شاعر اميركي رقيق ٠ توفي في ٢٢ تموز وله من السن ٦٢ عاماً ٠

« السر وليم رامسي » — العالم الانكليزي الشهير · توفي في ٢٣ تموز · وله من العمر ٦٢ عاماً ·

« دون خوسي اتشيغاري » — كاتب اسباني شهير قضى نحبه في ١٤ ايلول بعد ان عاش ٨٣ عاماً ·

« أوتو ملك بافاريا المعتوه » — خلع من عهد قريب وتوفي في ١٠ تشرين الاول وله من العمر ٦٨ عاماً ·

« برسيفال لوول » — الفلكي المشهور · سار ذكره لاستقصائه المريخ وكان مدير مرصد في اريزونا · توفي في ٢ تشرين الثاني وله من العمر ٦١ سنة

« الامبراطور فرانسوى جوزف » — امبراطور اوستريا والمجر توفي في ٢١ تشرين الثاني · وله من العمر ٨٦ سنة ·

« هنريك سنكيفتش » — الكاتب البولندي الطائر الصيت · توفي في ١٥ تشرين الثاني وله من العمر ٧١ سنة ·

« جاك لندن » — كاتب اميركي رحالة · اشتهرت رواياته العديدة حتى تُرجم معظمها الى اكثر اللغات الحية · توفي في ٢٢ تشرين الثاني · ولم يعش سوى اربعين عاماً ·

« السر حيرام مكسيم » — مخترع البندقية المعروفة باسمه · ومكتشف انواع شتى من المتفجرات · توفي في ٢٤ تشرين الثاني وله من السن ٧٦ عاماً

« اميل ڤرهارن » — شاعر البلجيك الشهير · توفي في ٢٧ ت٢ وهو في الـ٦١ من سنيه ·

« البرنس اوياما » — قائد الجيوش اليابانية في منشوريا ابان الحرب الروسية اليابانية · مات في ١٠ كانون الاول · وله من العمر ٧٤ سنة

اميل فرهارن شاعر البلجيك

ان المصيبة الفادحة التي شعرت بها بولندا بوفاة كاتبها وممثل روحها هنريك سنكيڤتش قد قاست البلجيك مثلها بفقدها شاعرها العظيم اميل فرهارن الذي توفي قتلاً في صدمة قطار بينما كان مسافراً في فرنسا ، وذلك في السابع والعشرين من تشرين الثاني ·

كان فرهارن شاعر البلجيك وممثل روحها الوطنية · وله في قلوب مواطنيه المقام الاول · وقد توصل الى ذلك بقوته ومقدرته الخيالية الغريبة وغناه الادبي · أضف الى هذا معرفته تاريخ بلاده حق المعرفة وادراكه حالتها الوطنية · فضرب هذه الانغام على اوتار شعره فكان قريضه تمثالاً لروح بلاده · وكان هو الموضح لقوى مواطنيه النفسية فسمي بحق « شاعر الامة »

وان وفاة فرهارن لهي بلا شك وفاة شاعر عظيم من اكابر شعراء القرن العشرين · وليس من ينكر هذا حتى اعداء وطنه أنفسهم · وانها لتعيد الى الذهن رقي البلجيك السريع في برهة قصيرة وتذكرنا بان تلك الامة الصغيرة التي لم يكن فيها منذ جيل من يستحق ان يدعى نابغة قد اصبحت اليوم غنية بالنوابغ من شعراء و كتاب شتى يعدون في مقدمة الادباء وينظر اليهم جيرانهم باحترام وحسد ·

ولد فرهارن في ٢٢ ايار سنة ١٨٥٥ في بلد بجوار انتورب · ودرس علومه

اولاً في غنت ثم في جامعة لوفين · وكان منذ صباه ميالاً الى التأليف فاصدر وهو تلميذ مجلة شاركه في تحريرها رهط من رفاقه الذين صاروا فيما بعد من مشاهير الكتّاب والشعراء ·

وانضمّ فرهارن منذ سنة ١٨٨٠ الى عصبة « البلجيك الفتاة » المؤلفة من ادباء الشبيبة الناهضة العاملة على ترقية الادب · وفي اواخر تلك السنة قطن باريس · وغادرها مراراً عديدة للسياحة · وكان حتى قبيل وفاته يصرف شتاءه في باريس وصيفه في البلجيك ·

ومات فرهارن مخلفاً من الآثار الادبية ما ينوف على اربعين مجلداً بين دواوين وروايات شعرية ·

ولم يكن فرهارن شاعر الروح البلجيكية فقط بل كان مع ذلك شاعر الانسانية الحاضرة · فقد اعترف المنتقدون بانه أقدر شاعر على اظهار مكنونات النفس بصراحة وقوة وشجاعة ، وتمثيل شعور الانسان خير تمثيل ، واحاطته شعراً بكل الكون المعاصر · وقد قال عنه أحد ناقديه — انه كان في شعره فيلسوفاً ومؤرخاً ونبياً واستاذاً في علم النفس دون أن يتخطى حدود الشاعر

✻ هايدنستام الشاعر الاسوجي ✻

فاز بجائزة نوبل في الادب لعام ١٩١٦ الشاعر الاسوجي فرنر فون هايدنستام · وهو شاعر وكاتب مشهور في بلاده ·

ولد هذا الشاعر سنة ١٨٥٩ في عائلة نبيلة غنية · وشبّ في بحبوحة مكنته اولاً من استقاء المعارف والعلوم من خير مواردها ثم سهلت له سبل السياحة

في اقطار العالم · فاكتسب بتجواله عدا الفوائد الواسعة التي يكتسبها السائح عاطفة الرقة والميل الى كل طبقات الشعب ·

وبعد ان عاد من سياحته الطويلة في بلاد المشرق وايطاليا أصدر أول دواوينه فكان له شأن وضجة لما فيه من الجمال وقوة التعبير · ثم اتبعه برواية نثرية شائقة فديوان ثانٍ فروايات وابحاث نثرية أقرّ له المنتقدون بعدها بانه مؤلف لا يجارى في فنه ونابغة خالد الذكر بأدبه ·

وفي سنة ١٩١٥ طبع ديوانه الثالث · ومما يستحق الذكر ان هذا الاديب كان طيلة حياته الادبية زعيماً لفرقة الادباء التي نهضت لجلاء الغمامة القاتمة التي احدثتها كتابات سترندبرغ الشهير في النفوس ومناهضة الكآبة المتأتية عنها وتغيير الشعور الادبي من طور الى طور

✻ جوائز نوبل ✻

بمناسبة ذكرنا فوز الشاعر الاسوجي بجائزة نوبل في الادب رأينا ، لزيادة الفائدة ، ان نأتي على تاريخ جوائز نوبل ·

توفي المهندس الاسوجي الفرد نوبل مخترع الديناميت سنة ١٨٩٦ تاركاً ثروة تُقدَّر بتسعة ملايين دولار · وقد اوصى بأن تكون وقفاً يُعطى ريعه كل سنة لمن فاقوا سواهم بأعمال تؤول الى خير الانسانية وتحسين الهيئة الاجتماعية · والريع يقسم الى خمس جوائز متساوية ، تعطى الاولى لمن يكتشف تلك السنة أحسن اكتشاف أو تحسين في علم الطبيعيات ، والثانية لمن يأتي بمثل ذلك في علم الكيمياء ، والثالثة لمن يأتي بأحسن اختراع في

الطب والتشريح ، والرابعة لمن أتى في عالم الادب بأحسن ما كُتب وحوى خيالاً موءثراً مرقياً ، والخامسة لمن سعى أحسن سعي في تآخي الامم ونزع السلاح ونشر السلام · وتبلغ قيمة الجائزة الان اربعين الف دولار تقريباً ·

اما الحكم بالجوائز فيتم عَلَى هذه الصورة · يُحكم بجائزتي الطبيعيات والكيمياء مجمع العلوم الاسوجي ، ويحكم بجائزة الطب والتشريح معهد كارولين الطبي في ستوكهلم ، وتحكم بجائزة الادب الاكاديمية الاسوجية ، وتحكم بجائزة السلم لجنة من اعضاء مجلس الستورتنغ (البارلمنت) الاسوجي وهاك اسماء الفائزين بجائزة الادب منذ نشأتها الى الان ·

الشاعر الافرنسي سولي بريودوم في سنة ١٩٠١ ، والموءرخ الجرماني ثيودور مومزن في سنة ١٩٠٢ ، والكاتب الاسوجي بيورنسون في سنة ١٩٠٣ ، وتقاسمها الكاتبان فردريك ميسترال الافرنسي واتشيغاري الاسباني في سنة ١٩٠٤ · وحازها الكاتب البولندي هنريك سنكيفتش في سنة ١٩٠٥ ، والشاعر الايطالي كاردوتشي في سنة ١٩٠٦ ، والكاتب الانكليزي رديارد كبلنغ في سنة ١٩٠٧ ، والكاتب الجرماني رودلف ايكن في سنة ١٩٠٨ ، والكاتبة الاسوجية سلمى لاغرليف في سنة ١٩٠٩ ، والكاتب الجرماني هايزي في سنة ١٩١٠ ، والكاتب البلجيكي موريس ماترلينك في سنة ١٩١١ ، والكاتب الجرماني هاويتمان فيسنة ١٩١٢ ، والشاعر البنغالي تاغور في سنة ١٩١٣ ، والكاتب الافرنسي رومين رولان في سنة ١٩١٥ · أما في سنة ١٩١٤ فلم تُعطَ لاحد ·

وفاة الدكتور شميل

فقد العالم السوري في طليعة هذا العام رجلاً من كبار رجاله في العلم والادب هو المرحوم الدكتور شبلي شميل · كان الشميل كاتباً اجتماعياً يُعد من موءسسي النهضة العلمية في سوريا ومصر · وله عَلَى الادب أفضال تشكر وآثار تذكر ·

وكان العالم السوري خاصةً ينظر الى الفقيد ، ولا سيما في الآونة الاخيرة ، نظره الى زعيم ادبي أو قائد للرأي العام ، ويعده ممثل الروح السورية الحرة الناهضة · ولا غروَ فقد اكتسب الشميل هذه المنزلة بجهاده في سبيل الحق والانسانية ، وبغيرته أنى كان عَلَى الاسم السوري ، وبنزوعه الى اصلاح سوريا وانقاذها مما هي فيه من عبودية الاجيال والعادات الفاسدة والاضاليل واسعافها حين أمست تقاسي الويلات · وكان يخط لاجل ذلك مقالاته الرنانة في الصحف والمجلات العربية · وما فتىء يلتهب حزناً وأسى عَلَى حالة بلاده ويود لو يستطيع ان يفديها بحياته حتى مات منكباً عَلَى مكتبه في غرة كانون الثاني من السنة الحالية ·

ولد الشميل سنة ١٨٥٢ في كفرشيما من اعمال لبنان ، في البلدة التي انتجت لنا مشاهير كاليازجيين والبستانيين · ودرس في مدرسة عينطوره ثم في الكلية الاميركية في بيروت فكان من اول طلابها · وتخرج عليها في

الطب . واتمَّ دروسه في باريز .

ودخل الشميل ميدان الجهاد الادبي وهو في ريعان شبابه فكان يحبر المقالات الاجتماعية والعلمية وينشرها في الصحف فقام بخدمات للصحافة التي كانت حينئذٍ حديثة العهد في سوريا .

وجاهر بمبدأ داروِن فكان من اول دعاته في الشرق وانشأ في ذلك الفصول والردود المسهبة . وقاسى في سبيل ذلك تحامل الكثيرين من ارباب العقول المحدودة واضطهادهم .

وهاجر الشميل الى مصر عَلى اثر الاحتلال البريطاني اذ رأى فيها مجالاً أوسع لقلمه الحر ومبادئه الشديدة . فانشأ هنالك مجلة طبية تدعى « الشفا » فعاشت زهآء سنتين . وهجر بعدها الصحافة ولكنه ظل يمارس الكتابة معملاً مبضعه الادبي — قلمه الحاد — في بتر كل فساد في جسم الانسانية والوطنية

وكان الفقيد يدعو الى مذهب الاشتراكية زاعماً ان فيها شفآء الانسانية من عاهاتها ، وانها السبيل الوحيد الى الرقي الاجتماعي . وله في هذا المذهب نظرات خصوصية ثاقبة يحترمها زعماء الاشتراكية في اوروبا .

وقد ترك الشميل من الاثار الادبية المطبوعة ما يأتي —

١ — « شرح بخنر عَلَى مذهب داروِن » — نقله الى العربية سنة ١٨٨٤

٢ — « الحقيقة » . وهي رسالة في فلسفة النشوء والارتقآء . ظهرت اولاً سنة ١٨٨٥

٣ — « مباحث الحياة » — نشرت اولاً سنة ١٨٨٧ وقد جمعت هذه

الكتب منذ عهد قريب في مجلد واحد دُعي « فلسفة النشوء والارتقآء »

٤ — مجموعة مقالات اجتماعية

وله باللغة الافرنسية مقالات شتى نشرت في بعض جرائد فرنسا ومجلاتها

وقد انجز الفقيد قبل وفاته بليلة تعريب رواية « ايفجيني » للشاعر الافرنسي راسين . وكان قد دفع قبيل وفاته باسابيع الى السيد عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان في مصر نسخة خطية من مذكراته . ولا شك ان هذه المذكرات ستنشر وتكون ذات قيمة نفيسة في الادب .

وقد كان الفقيد ذا اسلوب طلي في الانشآء جامع بين المتانة والسهولة لم تطله مطالعة اللغات الاجنبية بطلاء العجمة . وفي مقالته التي نشرناها في هذا الجزء انموذج من اساليب التعبير الشميلية .

لا صولة الملوك ولا سطوة الجيوش ولا قوة القوانين تعادل قوة الصحافة . فالكاتب الذي يخط بقلم ضئيل عَلَى القرطاس الصقيل كلمات هينة ربما لا يدري ان كلماته هذه سيكون لها في المجموع أثر لا يصد ولا يقف عند حد

نحن الذين علمنا الأنسان ان يكذب لاننا عاقبناه عَلَى الصدق

متى عرف الانسان في الاجتماع واجباته كما يعرف حقوقه قلَّت الشرور من البشر .

ليس اصعب من مصادرة المقرر المألوف .   « شبلي شميل »

زنبقة الغور

رواية اجتماعية متتابعة

بقلم



مريم ابنة الراعية ساره من الراهب ايلياس البلان هربت من دير الايتام في الناصره لما قاسته من الاضطهاد ولجأت الى القس جبرائيل مبارك فوضعها تحت رعايته وهو صديق قديم لامها وادخلها بيت اخيه جرجي مبارك للخدمة · وهنالك هام بها عارف مبارك ابن صاحب المنزل فطغاها ووعدها بالزيجة · وقدم المنزل ابن عمه ايوب مبارك ضيفا فاعجب بحسن مريم فقصد غرفتها ليلا ليطارحها الغرام ففاجأه عارف وقتله غيرة وهرب · فأتهمت مريم بالجريمة واعترفت وهي في السجن بما جرى للقس جبرائيل فانقذها بنفوذه وسار بها تاركا ديره الى طبرية ليستر عارها · وهنالك اقام واياها في بيت منفرد عند الحمامات المعدنية علَى مقربه من المدينة القذرة المكتظة باليهود العائشين في حمأة المدنية من حسنات اخوانهم الاجانب

تابع ما قبله

هنيئاً لوحوش البرية — هنيئاً لاطيار الفلاة — لهفي عليك يا طبرية ولهفي علَى ابنائك · يتزوجون ويتكاثرون ويعيشون في البواليع علَى الحسنات· لا اثمرت خليقتك يا رب · تبارك عقم الرمال والصخور · تبارك عقم البحار· الرجل الذي هو مليك مخلوقاتك كلها انما هو اضعفها واحطها والامرأة أمة الرجل ·— هذه طبرية وهي منذ بناها هيرودس حتى اليوم مهد الخمول

والجبن والعبودية · بل كان اليهود مرتقين عزيزي الجانب لما بنيت قديماً فرفضوا ان يسكنوها · فجلب هيرودس اليها جماعات من الاجلاف والاوغاد والشحاذين فاقاموا فيها ناعمي البال — فهل يهود طبرية اليوم من نسل اولئك الناس ياترى ? تبارك عقم الرمال والصخور · تبارك عقم البحار

وجلس الغريب علَى شاطىء البحيرة برهة وكانت قد سكنت الريح وكف المطر فاستخرج من جيبه كتاباً وقرأ بضع صفحات وصلى صلاة المساء ثم نهض وسار في طريقه عائداً الى منزله وبينا هو مار بالحمامات راقبه احمد واتبعه خفياً · فاهتدى الى بيته وعاد يخبر القسيس ·

وفي تلك الليلة اطلع احمد اخوانه في القهوة علَى ما شاهد هناك

— والله يا احمد هذا الرجل « ابوالسلة » امره عجيب · له قصة عجيبة لا شك ·

— مالنا وله — هات العرق والنقل يا طنوس ·

— اسمع بالله · وللقسيس غرض معه · والله اظن ان للاثنين علاقة بالفتاة

— اي فتاة ?

— ابوالسلة مقيم فوق الطريق قرب القبور وامرأة ··· واشار احمد بيديه ان الامرأة حبلى ·

— وما ظنك يمكن ان تكون امرأته

— ويمكن ان تكون ابنته ·

— وما غرض القس يا ترى

-- قد يكون علم ان هناك فتاة -- قسيس افندي ابن حرام -- الله يوفقه-- اشرب · اشرب ·

اما القسيس فبات بعد ذلك يراقب الغريب فلما شاهده في اصيل اليوم التالي ذاهباً الى طبريا سار تواً الى البيت الذي اهداه احمد اليه فالتقى قدام الباب بفتاة مشحوبة اللون ثقيلة الحركة عيناها ذابلتان والكآبة بادية في وجهها · فالقى اليها السلام فردته واجفة ·

-- كأنني عرفت الرجل المقيم معك يا بنتي فجئت اتحقق ذلك

-- وماذا تريد ؟

-- لا شيء سوى التعرف والالفة انا غريب هنا أليف الضجر

فجزعت الفتاة وهمت بالدخول الى البيت

-- لا تخافي يا بنتي · فقد اكون متطفلاً ولكن الغريب الى الغريب نسيب · من هو الرجل المقيم معك ؟

-- ابي

-- هذا ما ظننته · ومن اين انتم ·

-- من الكرك ·

-- واسم ابوك

فلفقت الفتاة اسماً ثم قالت -- تفضل زرنا عندما يكون ابي هنا · ودخلت البيت واقفلت الباب · فعاد القسيس وهو حائر في تصرف الامرأة مشكك في قولها ·

وبينما هو عائد الى غرفته في الحمام ألتقى بالغريب في الطريق فتبادل الاثنان نظرة سريعة وكل منهما سائر في سبيله ثم التفت الغريب كأنه يريد ان يتحقق ظناً فرأى القسيس واقفاً يلتفت اليه ·

-- هو هو بعينه · نبذ الثوب وتزوج · سبحانك يا رب ·

وفطن القسيس اذ ذاك الى تلك المقابلة في لبنان وتذكر السوءالات التي سئلها · فقال في نفسه -- الاوفق ألاَّ يعلم بوجودي هنا

اما الغريب فلما وصل الى البيت اخبرته الامرأة بزيارة القسيس وسوءاله عنهما ·

فرفع يده الى جبينه متبحراً -- هو بعينه -- هو القس بولس عمون ذاك العالم الفيلسوف الذي قابلته في لبنان · وهذه الورقة التي عثرت بها عند الحمامات لا شك انها من اوراقه · ثم قرأ فيها ثانية --

« كلما فكرت بالماضي ماضي حياتي ينقبض قلبي · اجمل الاسرار الدينية سر الاعتراف ··· لولاك يا ربي لمن يعترف المجرم الاثيم »

ثم قرأ ما كتب في الجهة الثانية وقال -- ليس هنا احد يحسن مثل هذه الاشياء ويكتبها · والاعتراف ! الحق معه لمن يعترف المجرم الاثيم لولاك يا رب ؟

وبات الغريب حائراً بائراً تلك الليلة يفكر بالقس بولس عمون وبايلياس البلان · واستيقظ صباحاً وجاء الى الحمامات ليقابله فقيل له ان القسيس سافر مساء البارح ·

(الفصل الثامن)

لا نظن القارىء يجهل الان الغريب في زي الاعراب المعروف بابي السلة والفتاة المقيمة معه · ولكنه يتوقع شيئاً من اخباره قبل مجيئه الى طبريا ومن قصة الفتاة بعد ان ألقيت في السجن · فان تلك الدعوى دعواها كمثل الكثير من الدعاوي التي تسمع في محاكم البلاد فتخفى حقيقتها عَلَى رجال الشحنة والقضاة · أو انها تخفى عمداً وعدواناً حباً بكسبٍ ، او ارضآء لصاحب نفوذٍ ، او تزلفاً لذي امر ، فيبرأ مذنب ، ويُتهم بري، ولا يذنب الحق والعدل في كلا الحالتين غير الحكومة الاثيمة ·

وانا لنسرد الان ايجازاً خبر القضية التي ألبست بيت مبارك عاراً لا تدثره الايام ، واقامت رجال الحكومة واقعدتهم ، وأشغلت القس جبرائيل عن خصومه الرهبان ، واضطرته في نهاية الامر الى ان يخرج من الدير

ما كادت تشرق الشمس عَلَى تلك الجريمة حتى ضجت الناصرة باخبارها وتعددت حسب العادة في مثل هذه الحوادث الاشاعات · فمن الناس من قال ، ان يوسف مبارك قتل ابن عمه غيرة عَلَى عرضه · ومنهم من قال ، ان مريم سبب الجريمة والست هند مرتكبتها · ومنهم من اشاع ، ان للرهبان اصدقآء الست هند يداً فيها · وما احد ذكر عارفاً ، بخير او بشر · ذلك لان الشاب كان متغيباً معظم الوقت عن البلد ولم يخطر أمره في بال احد من الناس اذا استثنينا المدعي العمومي ·

ولما نمي الخبر الى القس جبرائيل صباح ذاك اليوم هرول الى بيت اخيه

يستطلعه الحقيقة · وكان يوسف افندي قد استنطق العشية لطيفة ، فاخبرته بعد كثير التردد بما شاهدت · فاخبر اخاه القسيس وسأله رأيه في تلك المحنة السودآء · وليس يوسف مبارك اباً رومانياً ليجلس في كرسي القضاة فيحكم عَلَى ابنه المذنب بالسجن او الموت · وانما الضعف البشري والحنان الابوي سوّلا له الكذب ، فقال ، ان عارفاً كان غائباً ليلة ارتكبت الجريمة ولم يزل · فوافقه القسيس في ذلك عَلَى شرط ان يساعده في خلاص الفتاة المتهمة زوراً وظلماً ·

ثم ذهب القسيس الى السجن فقابل مريم وسألها ان تصدقه الخبر · فقالت انها لا تعلم شيئاً ، واصرت عَلَى انكارها · وكان الهلع قد استولى عَلَى الفتاة فأمست قليلة الكلام ، كثيرة الاوهام · عَلَى انها لم تغير من قصدها مثقال ذرة ولم تقر ابداً بما كانت تعلم · قالت انها لا تدري من القاتل ، ولم تقل غير ذلك ، واقسمت يميناً للقس جبرائيل انها بريئة ·

وظلت الفتاة اربعة اشهر في السجن تقاسي مر العذاب من آلام ظاهرة ، وآلام خفية ، ريثما تبحث الحكومة وتحقق في الدعوى

وقد قيل ان المدعي العمومي اظهر في الاجراءات من اصابة الرأي ، وطهارة الذيل ، وعفة النفس ما قلما شاهده ابنآء الناصرة في امثاله · كيف لا وقد استنطق بيت مبارك كلهم من الست هند الجليلة حتى العشية · هذا ما عرفه الناس وقد فاتهم ان يوسف افندي وكلماته كانت تحرك في كل هذي الاجراءات قلم المدعي العمومي ولسانه ·

وقد شهد يوسف افندي نفسه انه ساعة ارتكبت الجريمة كان نائماً وان ابنه عارفاً غائب منذ اسابيع ، وانه لم يرَ ساعة جآء يلبي صراخ الخادمات غير الفتاة مريم في غرفتها والجثة تحت السطح · وكذلك شهدت الست هند والخادمة ظريفة · اما العشية فقالت تزيد عَلَى ذلك ، انها حين فتحت شباك غرفتها رأت رجلاً لابساً رداء اسود يسحب الجثة من غرفة مريم ويرميها تحت السطح ، ولكنها لم ترَ وجهه ·

ثم جآء المستنطق والقائمقام الى موقع الجريمة يفحصان المكان ويدققان النظر في هيئته وشكله · فوجد المستنطق ان للسطح درجاً من الحجر يصل الى نصف الحائط فيظل بين آخر درجة منه والارض علو مقداره اربعة اذرع يستطيع ان يثب اليها اي كان من الرجال ·

فقال المستنطق وقد انجلى له الامر وانكشف السر ، ان الجاني تسلق هذا الجدار الى هذا الدرج الى هذا السطح واتخذ بعد ارتكابه الجريمة ذات الطريق هارباً · فاسرَّ اليه اذ ذاك القائمقام ما يعرفه بنفسه من تردد الرهبان عَلَى بيت يوسف افندي وانشغال قلب احدهم بحب مريم · فسكت المستنطق اذ ذاك واوقف الاجرآء والاستقصآء ·

اما مريم فلم تكن لتقر بما جرى لها في بيت مبارك وأنكرت انها تحب احداً في البيت او في المدينة او ان احداً في البيت او في المدينة يحبها · الا ان الست هنداً ألفتت نظر المستنطق الى القس جبرائيل قائلة انه هو المفتاح الوحيد لقلب مريم · وقد يكون المغري عَلَى قتل ايوب مبارك · لان الفتاة

تشكو اليه الصغير والكبير من امرها دائماً · وشد ما كانت شماتة الرهبان وشد ما كان سرورهم لما استدعي القس جبرائيل الى سراي الحكومة ليستنطق مثل سائر الناس · فامتثل القسيس امر المدعي العمومي وبعد ان اجابه عَلَى سوءالاته كلها زار مريم في السجن وعرَّفها مطمئناً ان ما تقوله في كرسي الاعتراف لا يطلع عليه غير الله والكاهن · فاعترفت له بكل شيء — بفعلات اخيه وتحبب ابن اخيه لها وبقتله ايوب مبارك وباغتصابه اياها وجعلت اذ ذاك تبكي فانتبه القسيس الى حالتها وجآء بعد ان عرَّفها يسأل القائمقام الاسراع في استماع دعواها لان الفتاة حامل · وقد ترتكب الحكومة جريمة لا تغتفر اذا داومت التأجيل من اسبوع الى اسبوع ومن يوم الى يوم ·

وفي اوراق التحقيق التي رفعها المدعي العمومي الى المحكمة ويوسف افندي عضو من اعضائها قال ، انه بعد طويل البحث والتمحيص والاستقصآء ظهر ان القتيل مطعون في ظهره ثلاث طعنات بخنجر وجد مرمياً عَلَى الارض ! — وهذا ، وأيم الله ، يستوجب طويل البحث والاستقصآء — وان رأسه مكسور من صندوق الزهور الذي وقع فوقه — وهذه من اكتشافات المدعي العمومي النير الذهن الذكي الفوءاد — وان الطعنات في ظهره وحدها لا تسبب الموت — هنيئاً لحكومة عمالها علماء اطباء فقهاء ! — فلو فرض ان الفتاة قاتلة ايوب مبارك فليست هي التي رمته تحت السطح ، والعشية لطيفة تشهد عَلَى ذلك · والمدعى عليها تقول ايضاً انها لما كانت في قبضة ايوب مبارك

رأت رجلاً يطعنه في ظهره فهلع قلبها وأغمي عليها فلم ترَ غير ذلك · فلو فرض انها هي القاتلة فينبغي ان يكون لها شريك في الجريمة · وحكم المصحف الشريف في سورة يوسف يصح في هذه القضية — وهذا منتهى الذكآء والبراعة في تحقيق المدعي العمومي — اذا كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت وان كان قميصه قُدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين — والقتيل طُعن من دبر ساعة كانت الفتاة مريم في قبضة يده · وهو فوق ذلك طويل القامة فلو فرض ان الفتاة هي الطاعنة تلك الطعنات لوجب ان تكون الطعنات في اسفل ظهره لا بين كتفيه · فمما تحقق من موقع الجريمة اذاً ومن شهادات الشهود يستدل ان رجلاً ، وقد يكون لصاً ، تسلق الجدار الى الدرج ومنه الى السطح قصد السرقة — ليهنأ العدل باربابه ! — فلما رآه ايوب مبارك قبض عليه فطعن اللص ايوب تلك الطعنات ورماه تحت السطح وفرَّ هارباً ··· !

وبنآء عَلَى ذلك برَّأت المحكمة مريم واطلقت سراحها · واوقفت الاجراء في الدعوى لظنها ان المجرم راهب لا لص كما ادعى المدعي العمومي النير الذهن الذكي الفوءاد ·

وبرَّأ الناس ايضاً مريم ولكنهم لم يبرأوا بيت مبارك · فكانوا اذا ذكروا الحادثة يقولون — « يا للعار ! » حانقين ولم يقل واحد منهم — « يا حرام ! » آسفاً ·

واضطرَّ يوسف افندي ان يسافر الى سوريا هرباً من سهام الرأي العام

وتخفيفاً لمضض الالام التي اصابته من هذه الفاجعة ورغبته بالاجتماع بابنه عارف ليطلعه عَلَى ما جرى ويعود به الى البيت

اما الست هند فلم تفتأ ان تنشر الاكاذيب عن سلفها القسيس وتشتغل سراً وجهراً في نفيه من الدير · وان الاهتمام الذي اظهره في هذه الفاجعة لما يحقق ظنون بعض الناس ويثبت حجة الرهبان عليه · وكذلك كان · فثار الرأي العام عليه وصار اذا مشى في اسواق البلد يشار اليه بالبنان — هذا مخلص مريم وابوها ! — واذا اقام في الدير لا يسمع ما هو أخف من ذلك وقعاً عَلَى اذنه وقلبه ·

وقد حار القسيس في امر مريم لما خرجت من السجن وحالتها تشير الى ما هي فيه · فاين يذهب بامرأة حامل ? الى من يأخذها وهي اليوم لا تستطيع الخدمة ، بل هي في حاجة الى من يخدمها ? جآء بها الى الدير فانزلها في غرفة هناك ريثما يفكر في امرها وفي مصيره · فهاجت عليه خواطر الرهبان وتهددوه والفتاة بالطرد ·

ولقد طالما قال — الزهد في الاديرة أضحوكة سفيهة — خداع وضعف وجبن وخباثة · والنسك في الاديرة تجديف عَلَى اسم الله القدوس

وها قد حان الوقت ليعمل بقوله · فوطن النفس عَلَى الرحيل ومريم ليخلصها مما هي فيه ، لينقذها من عار يكتنفها ، ليكون لها عوناً في محنة جرَّها هو عليها اذ ادخلها خادمة في بيت اخيه · فجآء بها الى شاطىء البحيرة متنكراً في زي العربان ليظل بعيداً عن الناس غريباً واستأجر بيتاً خارج

الحمامات عند مقابر علمآء اسرائيل · فاقام واياها فيه وهو يقول — سأبني قرب البئر صومعتي وسأحرق الحبل والدلو · سأقيم عند المآء وأعف عنها · هذا هو النسك الحقيقي · هذا هو الزهد المقدس

ومع انه اقدم عَلَى ذا العمل الخطير ثابت القدم ، جرىء القلب ، فلم يشأ ان يطول أوانه · ويذكر القارىء انه عند وصوله الى تلك الناحية سافر مع محمود البحري الى تلحوم لغرض جوهري يختص بمريم · فان له في سهل الغوير بيتاً وبعض املاك · ولم يشأ ان تقيم الفتاة هناك وهي في حالتها الحاضرة · فبعث احد اجرائه الى حيفا بكتاب الى عارف ابن اخيه يبشره فيه ببراءة مريم ويسأله ان يوافيه حالاً الى البيت في سهل الغوير

(الفصل التاسع)

— ولكنه لطيف كريم ، يا امي · وعدني ببيت وبعريس اذا قبلت نصيحته واصلحت حالي وندمت عَلَى خطاياي

— هل هو كاهن نصراني ؟

— لا هو رجل غني · له املاك في جهة تلحوم وعنده أجراء · ويريد ان اقيم هناك معهم فاخدم في بيته ويزوجني بشاب ظريف ابن احد اجرائه

— مالك وهذا التلفيق · هو خداع منافق مثل سائر الرجال · كم يدفع اجرتك في الاسبوع ؟

— مجيديين ·

— مجيديين فقط ؟ اطلبي منه اربعة مجيديات · يدفعها · وحق الله اذا

كان يحبك يدفعها · وابقي معه الى ان يسافر الى بلاده ، ثم عودي الى شغلك ، ولا تغرك تلفيقاته · من يعيشني اذا بعدتِ عني وانا الان مريضة · وافرضي انني شفيت غداً فلا احد يلتفت الي · ولّت ايامي ، يا بنتي ، كبرت وشبت من الويل والشقآء · ألا ترين كيف هجرنا ذاك اللعين ابو هذا الولد · لا عاشت الاولاد ، ولا عاش الرجال !

وكان الطفل اذ ذاك نائماً فاستفاق وجعل يبكي ، فجذبته بعنف اليها ودقت برأسه عَلَى صدرها وهي تقول — ارضع ترضع السم · ارضع ترضع البلاء · سأرميك في البحيرة يوماً ما وارتاح منك ومن بذرة ابيك · هاتي الابريق ، يا هيلانة احس ان في جوفي اتون نار · آه ما احلى الموت ! هنيئاً للموتى !

— انت دائماً يائسة ، يا امي · ويحق لك ان تفرحي اليوم

— نعم ، يا بنتي · الجنة التي نحن فيها تفرح القلب · اسمعي ألم تقولي لي ان الامرأة التي مع هذا الرجل حبلى ؟

— بلى ·

— ارجعي اذاً الى بيته · وابقي عنده الى ان تلد فاخبرك بعدئذٍ ما تفعلين · واطلبي منه اربعة مجيديات كل اسبوع · أفهمتِ ؟ اواه ! اين جمالي يخدمني الان ؟ فاني الان اعرف كيف انتفع به — كفاك ، كفاك يا ابن الستين كلب ! قطعت ثديي · هس ! لا تبكِ · لا تبكِ — الابريق يا هيلانه ! احترق قلبي والله · احترق كبدي — أفهمتِ ما قلت لك ؟ اطلبي منه اربعة مجيديات

كل اسبوع · وهبيه البيت والعريس ·

— وربما كان هو العريس بنفسه · والله ، يا امي ، هو « شلبي » وكريم ولطيف وغني · احبه والله احبه ·

— الله يعمي قلبك · حماره · دابة · ماذا يريد الرجل من بنت الهوى ؟ زواجها ؟ لم تزالي بسيطة يا هيلانة · يتمتع بك ويتركك مثل ما تركني ذاك النذل · الله يبليه بالبرص · الله يبليه بالطـاعون · أتعرفين ما كنت اصنع لو كنت اليوم صبية جميلة ، يا بنتي ؟ اعطيني الابريق — لو كنت اليوم صبية جميلة لبنيت علية عَلَى شاطىء البحيرة اكرسها للغرام وللموت فامتص فيها حياة الرجال واجعلهم بعد ذلك طعماً للاسماك · اواه ! روحي الى شغلك يا بنتي · اعطي وانسي ! ولكن لا تنسي أن تطلبي من معلمك اربعة مجيديات ·

وعادت هيلانة الى بيت القس جبرائيل لا تعرف باي نصيحة تنتصح — أبنصيحة امها ام بنصيحة الغريب سيدها ؟ ولكنها استسلمت الى التقادير وظلت تخدم القسيس ورفيقته شهرين فتطبخ وتغسل الثياب وتجيء الى البلد تقضي حاجاتهما وتبتاع لهما زاداً · وكانت ترافقهما في نزهاتهما ايضاً · كأنها تقيم معهما رفيقة لا خادمة · وكان سيدها يحسن اليها ويرشدها ويعاملها ومريم معاملة واحدة ·

ولم تكن مريم لترضى بذلك · فازداد غمها واحتدمت نار الغيرة في موقد أحزانها فنفرت من هيلانة ولم تتمالك نفسها فاخذت تخشن لها الكلام

وتسيء معاملتها · وكانت هيلانه اذا حدثت مريم تكثر من ذكر الرجال · وتردد بعض اقوال امها البذيئة ·

— قلت لك مائة مرة لا ترددي عَلَى مسمعي مثل هذا الكلام ·

— لا تؤاخذيني · ولكن مثلك لا تشمئز من ذكر الرجال

— سدي فمك

— امرك يا معلمتي · ولكني طالبة الافادة · سمعت الناس يقولون انك زوجة معلمي ولست ابنته ·

— هذا لا يعنيك يا هيلانة ·

— بلى يا معلمتي · هذا يهمني · فاذا كنت زوجته لا افسد والله بينكما · بل اعود الى بيتي · الى شغلي

— وما معنى كلامك ؟

— معنى كلامي اذا كنت زوجة معلمي فرزقي اذاً عَلَى الله · ولو احبني فانا لا افتن بينكما ·

فلم تتمالك مريم ان ضحكت · فتشجعت هيلانة وتمادت بمثل ذا الحديث فاسكتتها مريم وضربتها ·

فشكتها الى القس جبرائيل فطيب خاطرها ونصح لمريم ان تعاملها بالحسنى ·

— لا نقدر ان نغير خادمتنا كل اسبوع يا بنتي ونحن نبتغي الستر والبعد عن الناس · ولا نقدر ان نعيش هنا بلا خادمة · فاصبري عليها من اجلي

وبعد ايام بعث القسيس هيلانة برسالة الى اجيره في تلحوم فأدتها وجاءت بالجواب وفي عودتها عرَّجت عَلَى طبريا لتزور امها . وكانت قد تعافت فاخبرتها بما جدَّ في امرها .

— الحق معك يا امي . كنت اظن ان البيت في تلحوم قصر واذا هو كوخ ، وان الشاب ابن اجير معلمي ظريف واذا به مثل القرد والامرأة التي معه خبيثة شرسة . واظنها ابنته اكرهها من كل قلبي . ضربتني بنت الكلب وعيرتني . والله لو لم تكن في تلك الحالة لاخذتها بشعرها ومرغت فمها بالتراب . لكسرت رأسها والله .

— وهل قرب يوم ولادتها ؟

— لا ادري ، ولكني سمعته يقول لها ان هذا شهرها . غريبة والله اطوار هذا الرجل فقد اقام في بيته حاجزاً من الخام ، فانام انا والامرأة في شقة منه ، وينام هو في الشقة الثانية . وما رأيته مرة يقترب منها لا ليلاً ولا نهاراً . وقد راقبته مرات في الليل وانا اتناوم — يظهر يا امي انها ابنته .

— لا فرق ، ابنته كانت او امرأته . فهو يحبها وهو غني أليس كذلك ؟

— بلى .

— اذاً ينبغي ان ننقل من هذا البيت الى حارة اخرى في قلب البلد . فقد دبرت الامر واذا سمعتِ كلامي وعملت باشارتي نغتني . ابقي اليوم عندي تساعديني في النقل . وغداً تعودين الى بيت معلمك .

وفي اليوم الثاني عادت هيلانة تحتفظ بوصية امها وتحمل الى القس

جبرائيل جواب اجيره في سهل المغير وقد قال فيه انه سافر الى حيفا وبحث هنالك عن عارف فلم يجده ولم يسمع له خبراً .

فمزق الكتاب وملامح الغيظ والفشل تبدو في وجهه .

— واين كنتِ الليلة البارحة ؟

— نمت عند امي .

— حسن . ولكنني اسألك ألاَّ تتغيبي في هذه الايـام ابداً . لازمي معلمتك ، ولا تغيظيها بشيء . والتي مثلها اليوم تضيق اخلاقها ، فكوني طائعة امرها صابرة عليها . أفهمتِ ؟ — واعطاها ثلاثة مجيديات .

— نعم . امرك ، سيدي .

— وساعطيك ليرة عندما تلد معلمتك .

— كثر الله خيرك .

وراحت الفتاة الى شغلها . وراح القس جبرائيل يداوي نفسه في الحقول . وكان الشتاء وقتئذٍ قد همَّ بالرحيل . فصعد في الجبل فوق الحمامات وجلس عَلَى صخرة هنالك بدأت تنطق بجمال الربيع ، فنورت في نخاريبها بعض زهيرات اخذ القسيس واحدة منها وطفق يقلبها في يده وهو يقرأ في كتابه المحبوب « كتاب الاقتداء بالمسيح » . ثم نظر الى البحيرة وقد صفا وجهها وهي نائمة تحت قدميه كالطفل في رابعة النهار والنسيم يهز سريرها والحمام فوقها ينتحب وينوح ، فهتف صارخاً

— يولي الشتاء والحمام لا يفتأ ينوح . يجيء الربيع والحمام ينتحب

وينوح · تبتسم الطبيعة لهذه الاماكن المقدسة والحمام فيها ينوح · تنيرها الشمس فتدفئها وتحييها وينيرها القمر فيخفي معاصيها والحمام لا يزال ليل نهار يبكي وينوح · فما سرك ايها الحمام وما خبرك ؟ أفي نفسك نفس تلاميذ السيد ؟ أفي صوتك صوت المريمات ؟ أفي انتحابك تتجسد اصوات الدهور وانين الشعوب ؟ او هل هو نبأ من انبآء الرب القدوس تردده الايام والانام فيسمعناه في مهد روحياته الحمام ؟ آه ، اواه ! وان في الانسان مهما تقلبت اطواره ومهما تغيرت ايامه صوتاً مثل صوت الحمام حياً ابدياً

آه ، اواه ! ان في سرك ايها الحمام ، وفي خبرك · ولو تممت غداً اشرف مقاصدي واسماها ، لو تكلل غداً مسعاي في سبيل الفتاة مريم لكان الغد اسعد ايامي ؛ ولسمعت مع ذلك نوح الحمام — نوح الحمام في الجليل ونوح الحمام في نفسي · آه ، اواه !

« ارحمني يا رب حسب رحمتك · حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ · اغسلني كثيراً من أثمي · ومن خطيئتي طهرني · لاني عارف بمعاصيَّ · وخطيئتي امامي دائماً »

وبينا هو عائد الى البيت زالت سكرته الروحية واحس بنار الجسد تتأجج في صدره فأخفى دخانها نور بره وتقواه وأسمعه اضطرابه صوتاً يقول — قسمت يميناً ان ارعى هذه الفتاة واصونها من تصاريف الزمان · وحين اراها تهتز لها جوارحي كلها · يبتسم لها فوءادي · احبها واكرهها · اودها بعيدة مني قريبة · لحظاتها ذبحت نذري · سكوتها هدم مذبحي · تأوهاتها

فرطت مسبحتي · كلماتها محت اسم الله من كتاب صلاتي · آه اواه ! ايلياس البلان ! ايلياس البلان ! اين انت ؟ اين انت ؟ عارف ، عارف ! اين انت ؟ لو علمت اليوم ان اباها في الهند لذهبت بها اليه · ولو علمت اليوم ان عارفاً في اميركا لسافرت واياها الى اميركا · ولكن الله وقد أخفى عني وعنهما الاثنين يريد ان احمل الحمل وحدي · لتكمل مشيئتك يا رب · لتكمل مشيئتك · ولكن القس جبرائيل عبدك انما هو بشر يا ربي · ومنذ اخذ يد مريم بيده يوم ماتت امها ساره ما زالت امواج الحب والعفة تتلاطم حول نفسه

« قد سررت بالحق في الباطن ففي السريرة تعرفني حكمة · طهرني بالزوفا فاطهر · اغسلني فابيض اكثر من الثلج · اسمعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظام سحقتها · استر وجهك عن خطاياي وامحُ كل آثامي · قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي · لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني · »

ولم تكن مريم اقل غماً واضطراباً من القس جبرائيل بل كانت نفسها تردد دائماً صدى تأوهاته البشرية · وهي في بلاء اشد من بلائه · لانها وحدها لا تعرف لمن تشكو مصابها ولا لمن ترفع عتابها · الراهب وصيها يناجي الله فيجد في يقظاته الروحية بعض التعزية وهي تناجي نفسها فتزداد حسرة واحتراقاً · وان فتاة في عمرها ومزاجها لقيت باكراً اشد المحن واخبثها ولم تستيقظ الروح فيها لجديرة بعطف غير عطف الناسك وبحب بشري لا تشوبه الهيات البررة الزاهدين · واما القس جبرائيل فكان يمازج عطفه

وحنانه وارشاده شيء بلبل بال مريم وزاد بحيرتها وعذابها · فلم تدرك سر اضطرابه ولم تحسن فهم ارشاده وعتابه · ولما ألبسها الذخيرة التي اعطته اياها ساره لم يقل لها ان تلك الذخيرة من امها · فظنت الفتاة انها منه وفرحت لذلك · الا ان اقامتها واياه في ذاك البيت تحت سقف واحد وليس بينهما غير حاجز من الخام ازعجها جداً وكاد يهد قواها · وفوق ذلك لم يكن يأذن لها ان تحدث احداً من الناس او ان تخرج وحدها الى النزهة · فسئمت مريم الحياة وضاقت صدراً · ولم تكن تجسر ان تحدث القس جبرائيل بما يكن فوءادها · ولكن ما بدا في شحوب وجهها وفي ذبول عينيها وفي ضعفها وسقمها واخلاقها كان ينطق بافصح بيان بما في اعماق قلبها الكسير · فيسمعه القس جبرائيل ساكتاً صابراً ، ويلجأ الى الله صوناً لنفسه لا صوناً لنفسها ، وتخفيفاً لالامه لا تخفيفاً لالامها ·

وعلى هذه الحال قضت واياه شهري حبلها الاخيرين · وفي ذات يوم عند غروب الشمس بينا كان يصلي على شاطىء البحيرة جاءت هيلانة اليه تقول

— معلمتي متألمة جداً · فبعثها الى البلد تستدعي قابلة ·

— اسرعي · خذي العربة عند الحمامات · وارجعي واياها حالاً ·

فامتثلت هيلانة امره · ولما وصلت الى طبريا ذهبت تواً الى امها

— الليلة · الليلة ·

— طيب · وهل استدعيتم القابلة

— انا ذاهبة الان اليها

— حسن · عند القبور بعد ساعة او ساعتين ولا تنسي ما قلت لك · تشجعي وتيقظي وكوني رشقة وشاطرة

وفي تلك الليلة ولدت مريم بعد طويل العذاب وشديد الالم طفلاً ذكراً · وكان القس جبرائيل ينتظر على شاطىء البحيرة خلاصها · فجاءت هيلانه تبشره بذلك · ثم سارعت الى جهة القبور فكلمت شخصاً واقفاً هناك تقول — بعد ساعتين · اجيئك بعد ساعتين ·

وفي الساعة الثانية بعد نصف الليل ، وقد كانت القابلة انجزت عملها ونامت ، وكانت مريم والطفل والقسيس نياماً كذلك ، نهضت هيلانة تتسلل الى فراش القابلة فاخذت الطفل من جانبها فاستفاق باكياً · فاستفاقت لبكائه القابلة · فتظاهرت هيلانة بانها تربته وتطايبه لينام · ثم عادت الى فراشها تترقب الفرصة ونهضت بعد نصف ساعة فحملت الطفل النائم واسرعت به الى الشخص الذي كان ينتظرها عند القبور وعادت الى فراشها فنامت ناعمة البال نومة البررة الاطهار ·

ونهض القس جبرائيل باكراً صباح ذاك اليوم فدخل على مريم ليهنئها ويشاهد ولدها · وكانت النساء الثلاث لم يزلن نائمات فأيقظ القابلة وسألها عن الطفل · فنظرت حولها يميناً ويساراً ثم نهضت تصفق كفاً على كف وتصيح · فاسكتها القسيس وايقظ الخادمة هيلانه وما كاد يتم سوءاله حتى اخذت تبكي وتقسم بالله وبالانبياء · فاستدعا الاثنتين الى الخارج خوف

ان يوقظ لغطهما مريم فتعلم بالحادثة فيجهز عليها

— لما عدت انا الى البيت يا هيلانه كان البـاب مفتوحاً وكنتِ انتِ خارجاً ·

— نعم سيدي ·

— وهل اقفلتِ الباب عند رجوعك ·

— لا · تركته مفتوحاً حسب العادة · والله يبليني ويضربني بالسبع ضربات اذا كنت —

فاومأ بيده ان اسكتي · واوعز اليها والى القابلة ان يقولا لمريم ان ولدها عند المرضعة في البلد ترضعه الى ان تتعافى ·

وراح يسرع الى الحمامات مشتت الفكر مضطرب البال



فكاهات

— أيسر حل —

كان في القطار امرأتان مسافرتان جالستان جنباً الى جنب في مركبة واحدة · فاختلفتا في أمر اغلاق النافذة المحاذية وطال جدالهما بشأنها حتى تبرَّم المسافرون منهما · فشكتا أمرهما اخيراً الى ناظر القطار · فقالت الاولى

— اذا ظلت هذه النافذة مفتوحة فسأموت برداً ·

وقالت الثانية — اذا اغلقتم النافذة فسيقضى عليَّ اختناقاً ·

فاحتار الناظر في امره ولم يدرِ ماذا يفعل · فانقذه من هذه الورطة شيخ جالس بالقرب اذ قال

— دع هذه النافذة مفتوحة حتى تموت السيدة الاولى من البرد · ثم اغلقها حتى تقضي الثانية نحبها اختناقاً · ومن ثم نستطيع نحن الباقين ان نكمل سفرتنا بسلام وراحة ·

— افضل واسطة للتخلص منهم —

— كيف تمكنتم من طرد ذلك التقيل من جمعيتكم الراقية ؟

— اننا لم نطرده قط · ولكننا استعفينا كلنا من الجمعية الأم · ثم اجتمعنا وألفنا جمعيةً أخرى لم ندخله اليها · وبهذه الوسيلة تمكنا من التخلص منه



أين المفر من يدي القضاء ؟



حرية بولندا

جرمانيا — خذي هذا الطبق — طبق الحرية — فهو هبة مني لكِ

بولندا — وماذا يا ترى اضع فيه ؟

جرمانيا — ضعي رأسكِ

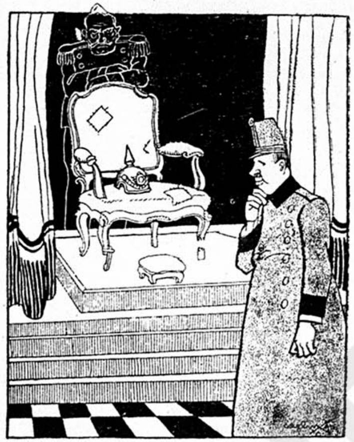
(مأخوذة عن « ايبيريا » الاسبانية)



في فلك نوح

سام (ولي العهد) لأبيه — خابت امالنا يا والدي . فهـا الحمامة اعني الغراب — الذي ارسلناه عائد الينا ولا تزال السماء تمطرنا رشاشاً كانه من افواه القرب

(مأخوذة عن وستمنستر غازيت الانكليزية)



عرش الامبراطورية

كارل الاول (امبراطور اوستريا الجديد)

— العرش قديم متداعٍ ولكن لا بأس فقد استطيع تمكينه وتصليحه ، وانما هل من سبيل الى التربع عليه براحة وتلك الحربة الملعونة ناتئة منه

(مأخوذة عن النومرو الايطاليه)



ترانسلفانيا في مخالب النسر الالماني



الطوفان الدموي

القيصر — صبراً — فعسى ان تعود الحمامة عما قريب

(مأخوذة عن مجلة لوكومورية الروسية)

— ما اطول الحرب —

كان عاملان انكليزيان يتحدثان باهوال الحرب . فقال الاول

— ستطول هذه الحرب اكثر مما يتصور الناس يا صاح .

— وكيف ذلك ؟

— ألا ترى ان الالمانيين يأسرون كل يوم الوفاً من الروسيين ، والروسيين بدورهم يأسرون الوفاً من الالمانيين . فاذا دامت الحال هكذا يصبح كل سكان روسيا في المانيا بعد حين قريب . وكذلك يمسي كل سكان المانيا في روسيا . فيبدأون اذ ذاك الحرب من جديد ليعودوا الى اوطانهم .

.....

الزوج — ألم تسمعي يا امرأة ما قاله أحد الحكماء — « لا يليق بالزوجة ان تصرف عَلَى ثيابها اكثر من اجرة المنزل »

الزوجة — القول حسن . وبناء عليه يجب ان نفتش عن منزل أجرته كبيرة

. . . .

جيء باثنين من المتشردين الى المحكمة فسأل القاضي احدهما

— أين تقطن ؟ فاجاب

— ليس لي مكان اسكنه غير الفضاء الواسع . فسأل القاضي الاخر

— وأنت اين تسكن ؟

— انا أسكن يا سيدي في المنزل المحاذي لسكن رفيقي

صيدلية شركة فلسطين

سنت	
١٥	جربوا الشربة العجيبة للرجال والنساء والاطفال اشتهرت بلذتها وفعلها الغريب
٢٥	« حبوب الدكتور ڤنديك مسهلة ملينة تزيل وجع الرأس والدوخة
٥٠٠	« حبوب خصوصية لتقوية الاجسام الضعيفة
٢٠٠	« الشربة الهندية للـ ودة الوحيدة مكفولة
٢٥	« البودرا التي تزيل الشعر من الجسم والمكفولة من كل ضرر
٥٠	« صبغة الشعر الخالية من حجر جهنم والمكفولة انها تعطي الالوان المطلوبة من اي لون شئت
٢٥	« البودرا الشهيرة الخالية من كل غش والتي تستعمل للجنسين «الجنس اللطيف والجنس القشيط» وهي دواء شافٍ لعرق الرجلين

لدينا سائر اصناف الروائح الشهيرة عَلَى تعدادها

لا تتعجبوا بالختام اذا قلنا اكتشفنا دواء جديداً لنمو الشعر في الراس وتقويته وليس عَلَى الذين يريدون انماء شعرهم الا ان يجربوا دواءنا هذا العجيب فيحققوا صدق ما نقول والتجربة خير برهان ·

عندنا دواء مشهور يزيل النمش والكلف من الوجه ·

ومن المرطبات لاجل الصيف جميع المشروبات مع ايس كريم اميركاني وايس كريم سوري مع الفستق ·

مدير الشركة

فلاديمير حلبي

PALESTINE DRUG CO.

28 RECTOR STREET NEW YORK

TELEPHONE { 3116 4994 3090 } RECTOR

مركز البوسطه

الى تجار اميركا الجنوبية

— محل ميخائيل عريضه في نيويورك —

قد وسع دائرة اشغاله المعروفة واصبح يتعاطى تصدير البضائع الاميركية من جميع اصنافها الى سائر الانحاء

وهو مستعد

أن يقوم بخدمة كل المحال التجارية السورية في اميركا الجنوبية والوسطى وجزائرهما استعداداً يرضي اصحاب البيوت الكبيرة والصغيرة التجارية

مقدرة هذا المحل المالية ،

وخبرته بالسوق الحالية ،

ومعرفته الاصناف المرغوبة ،

وتسوقه البضائع من معاملها رأساً ،

جعلته ان يحوز ثقة كثير من المحال التجارية الكبرى في اميركا الجنوبية في وقت قصير

فاكتب اليه

مستعلماً — أو مستشيراً — أو طالباً — أو مجرباً ·

ولك الخيار بعد ذلك ان تعامله او تعامل سواه

MICHAEL N. ARIDA

118 W. 22nd Street New York

ملوك اخوان

—(معملنا بفرنسا)—

اننا نصنع في معملنا بفرنسا اجمل واحدث ما يستنبط فيها من كلوني وفلورنتين وجميع انواع المخروجة شغل اليد

—(معملنا في فنيسيا)—

اما معملنا في فنيسيا فنعمل فيه ادق وافخر البضائع من الفيله والفنيس والمطرزات وجميع ما يصدر في ايطاليا من خرج او تطريز لاجل المفروشات

—(معملنا في مديرا)—

وقد اشتهر معملنا في مديرا بجودة المطرزات المديرا التي نشتغلها به · وكلها نقشات من جميع الاشكال ·

ولا شك ان اسعارنا تناسب عملاءنا اكثر من اسعار سوانا لان بضائعنا تباع رأساً من محلاتنا للتجار معاملينا وبذلك توفر الاضافات عَلَى الاسعار التي يتقاضاها غيرنا ·

محلنا الرئيسي في نيويورك ، كما ترى في العنوان ادناه ، وله فرع واحد في كندا عنوانه

223 Notre Dame Street Montreal,

MALLOUK BROTHERS

47-49 WEST STREET

NEW YORK

في حياتك الزوجية

— اعلان مفيد —

السيدة الحاذقة ملكه نفش هي قابلة رسمية حائزة عَلَى الشهادة من حكومة نيويورك في فن التوليد · وقد مارست عملها بنجاح مدة سنوات طويلة اكتسبت بها اقبال الجمهور ورضاهم ·

وهي تنشر هذا الاعلان لتعلم الجمهور انها مستعدة لتلبية كل سيدة ليست قادرة عَلَى الدفع · وهذا عنوانها ·

—(ملكه نفش)—

68 Court St. Brooklyn, N. Y.

— مكتبة الشعب في لورنس ماس —

(لصاحبها خليل فارس المنير أنشئت سنة ١٩١٠)

بعونه تعالى وبهمة ابناء الوطن الكرام قد اصبحت مكتبة الشعب عروسة المكاتب العربية الشهيرة في المهجر وهي الان حاوية عَلَى جميع اجناس الكتب العربية والانكليزية من تواريخ وروايات غرامية وادبية ودينية وقصص فكاهية وكتب اسلامية عَلَى اختلاف انواعها نصرفها باسعار زهيدة ترضي من يريد ان يجرب معاملتنا وعَلَى الله الاتكال ·

K. F. MONAYER

305 Oak St. **Lawrence, Mass.**

— انتظر —

اعلان بطرس كرم وشركاه

PEDRO CARAM & CO.

109 Washington Street

New York

بدران اخوان

والهجوم الروسي

ان روسيا في هذه الحرب العظمى قد برهنت عَلَى قوة واقتدار كانا كامنين في جسمها الواسع وشعبها الامين · ولا غروَ ان امة أخرجت من احشائها رجالاً عظاماً منهم القواد سوفوروف وكوتوزوف ومنشيكوف وسكوبيليف والغراندوق نقولا وبروسيلوف والفلاسفة تولستوي وسولوفيوف وباكونين والكتبة المتفننين تورغينيف ودوستويفسكي وتشيخوف وغوغل والمصلحين العظام بطرس الاكبر وسبيرانسكي وكاترينا الثانية وغيرهم من المشاهير لهي امة جديرة بان تبدو منها القوة الطاحنة

ونحن قد اظهرنا في عالم التجارة من الثبات والقوة ما جعلنا ان ندحر اعظم الصعوبات · وبذلك قد برهنا عَلَى اقتدارنا التجاري كما برهنت روسيا عَلَى اقتدارها الحربي · ونحن مستعدون ان نلبي طلب كل عميل ونرضيه كما ان روسيا مستعدة ان تكتسح بلاد اعداءها ولو بغير رضى · اما بضائعنا المذخورة فهي من قمصان النوم والانفلب شميز والكورست كفر تطريز اليد والوست والكمونا عَلَى اختلاف انواعها والملبوسات النسائية كافة

BADRAN BROS.

78 Greenwich Street New York



الفنون

الجزء التاسع

السنة الثانية

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co.

55 Broadway,

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION $5.00

JANUARY 1917

VOL. II **NO. 8**

"Entered as second class - matter June 16, 1916, at the Post Office at New York, New York, under the act of March 3, 1879"